

# مصباح المفسرين

مؤلف:

أبو الحسن حسيني شيرازي



تقيق:

على حبيب الله

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمه تصحیح

مؤلف

سید ابوالحسن محمد بن سید محمد حسینی شیروانی از دانشمندان و علمای قرن سیزده و چهارده است که شرح حال او به دست نیامد.

مؤلف الذریعه می نویسد:

مصباح المفسرین فی تفسیر آیه النور، للسید أبی الحسن محمد بن السید محمد الحسینی الشیروانی أوله «الحمد لله الذی جعل آیه النور مشکاة لهدایتة و مصباحا لمعرفة سره و آیه» ذکر أنه فرغ منه ۱۳۰۱ و أن اسمه التاریخی قرّة عین المفسرین و حکى فی آخره بعض خواص آیه النور عن بعض أهل الذکر بعین عباراته الفارسیة، رأیت النسخة فی الرضویة ۱۳۶۵<sup>۱</sup>

طبقات مفسران شیعه هم تنها متن عبارت الذریعه را به فارسی برگردان کرده است.<sup>۲</sup> در تفسیر نامه بکائی از ۷۲ رساله که مستقلاً درباره آیه نور نوشته شده است اسم می برد ولی در میان آنها نامی از مصباح المفسرین نیست.<sup>۳</sup> در فهرست کتابخانه آستان قدس رضوی می نویسد:

مصباح المفسرین، عربی- مفسر: سید ابوالحسن محمد بن محمد حسینی شیروانی در ۱۳۰۱ از شیروان به مشهد آمده (کتاب، تفسیر آیه مبارکه نور است به اخبار و مشرب عرفانی و آن را به فرمانفرمای خراسان «آصف الدوله شیرازی» اهدا کرده)، کتاب

۱. الذریعه إلى تصانیف الشیعه، ج ۲۱، ص ۱۲۰.

۲. طبقات مفسران شیعه، ج ۲۰۹، ص ۲۰۹.

۳. تفسیر نامه، ج ۲، ص ۷۰۹-۷۲۱، و رساله های مربوط به آیه نور از شماره ۳۸۳۵-۳۹۲۲



را در دیباچه به نام مصباح المفسرین و در پایان به مناسبت و مطابقت با ماده تاریخ فراغ از تألیف قرّة عین المفسرین نامیده است»<sup>۱</sup>. سپس آغاز و انجام نسخه و برخی خصوصیات فنی آن را بیان می کند. کشف الفهارس هم بیش از آنچه در کتابهای بالا آمده، چیزی ندارد.<sup>۲</sup>

### رساله حاضر

مصباح المفسرین تفسیر آیه نور ﴿اللّه نور السموات و الأرض مثل نوره...﴾ (النور (۲۴): ۳۵) است، و بنابر آنچه مؤلف نوشته تاریخ تألیفش سال ۱۳۰۱ هـ. ق. می باشد. گفته شد که مؤلف در مقدمه، آن را به اسم مصباح المفسرین و در پایان - مطابق با ماده تاریخ فراغت - قرّة عین المفسرین نامیده است. در این رساله بعد از ذکر مقدمه، تفسیر آیه را شروع می کند و اهمّ مباحث آن به قرار زیر است:

۱. معنای نور و فرق میان نور حسی و حقیقی؛
۲. تقسیم جواهر و اعراض و اثبات عقول کلیه؛
۳. تفسیر و تأویل آیه نور؛
۴. فهم قرآن و تفسیر به رأی؛
۵. آداب تلاوت و تأمل در فهم قرآن و موانع فهم صحیح؛
۶. مقصود از راسخین در علم و تأویلات آنان در آیه نور؛
۷. اطلاق اسم نور حقیقی بر خداوند؛
۸. نقل کلام فخر رازی در تعقیب کلام غزالی در معنای آیه؛
۹. اقسام حجاب و چگونگی تشبیه و تمثیل؛
۱۰. مظاهر اسماء الله؛
۱۱. مقامات معصومین علیهم السلام؛
۱۲. حقیقة الاسماء؛

۱. فهرست کتابخانه آستان قدس رضوی، ج ۴، ص ۴۵۴. و همچنین در فهرست نسخه های خطی دو کتابخانه مشهد (مدرسه نواب - آستان قدس) نوشته: «مصباح المفسرین: سید ابوالحسن شیروانی، نسخ، عربی، بدون تاریخ، ش ۱۵۵۱».

۲. کشف الفهارس، ج ۴، ص ۱۷۵، تألیف دکتر سید محمد باقر حجتی، چاپ اول، سال ۱۳۷۶ ش.

۱۳. معنای حدیث «معرفتی بالنورانیة معرفة الله»؛

۱۴. نقل کلمات بعض الأعلام فی الحروف؛

۱۵. معنای حروف أبجد و مقطعات قرآن؛

۱۶. معنای بعض اصطلاحات علم حروف؛

۱۷. خواص تلاوت آیه نور.



مؤلف محترم در این رساله از کتب روائی فراوانی استفاده کرده است و -با اینکه از علمای بزرگ زمان خود می باشد-، در مطالب حکمی و عقلی از دانشمندانی مانند: شیخ الرئيس، محی الدین عربی، شیخ اشراق سهروردی، صدر المتألهین، حاج مآلهادی سبزواری و از اشعار مولوی، عطار، شیخ محمود شبستری و همچنین از تفاسیری چون: مجمع البیان، تفسیر کبیر فخر رازی، منهج الصادقین، در المنثور، نور الثقلین، روح البیان، کشف الاسرار و عدة الابرار، تفسیر صافی و... استفاده فراوانی کرده است و از رساله استفاده می شود که نویسنده، محققى متتبع می باشد.

تحقیق این رساله بر اساس نسخه شماره ۱۵۵۱ کتابهای خطی آستان قدس رضوی مشهد - که ظاهراً تنها نسخه موجود است - انجام شد.<sup>۱</sup>

در پایان بر خود لازم می دانم از همه کسانی که در انجام این کار ما را یاری کرده اند و همچنین از خوانندگان عزیز و بزرگواری که از راهنماییهای خود بهره مندمان می سازند، تشکر کنم. امید است بتوانیم در چاپ بعد کاستیهای کار را برطرف سازیم.

والسلام

علی حبیب اللّهی

## بسم الله الرحمن الرحيم [مقدمة المؤلف]

الحمد لله الذي جعل آية النور مشكاة لهدايته، ومصباحا لمعرفة سره وآيته، وعلمنا بعض رموز أسرار كلماته، وجعلنا ممن يمشى على نور وجهه وصفاته، والصلاة والسلام على النور الأتم والرسول الخاتم، الذي يختم به كتاب الرسالة، ويتصل به دائرة الفضل والإجادة، وهو نقطة دائرة الوجود، ونكتة سر الله في كل موجود، وهو المقصود بالإيجاد أولا، والمبعوث بالتكميل آخرا، والمنعوت اسمه في التوراة والإنجيل، والملقب بحبيب الله على لسان جبرئيل، محمد ﷺ سيد الخلائق أجمعين، وشافع الأمم في يوم الدين، وعلى آله المقدسين المطهرين، الذين هم أهل بيت النبوة والتنزيل، وخزنة أسرار القرآن والتأويل، وهم أنوار سماء العصمة وآيات كتاب الإمامة، سيما ابن عمه على الذي نص عليه بالنص الجلي، به كملت دائرة الولاية مادام النور في القوسين دائرة.

أما بعد، فيقول الفقير إلى الله في كل موطن نوره محمد بن محمد الحسيني الشيرازي المدعوب بأبي الحسن، كحل الله عيني بصيرته بنور المعرفة: إن الحكمة كل الحكمة ما ورد في الكتاب والسنة، وإن في القرآن لبلاغا لقوم عابدين، وإني قد كنت في سالف الزمان متشوقا إلى إظهار معاني آية النور، وكنت أشاور نفسي وأردد قدام رأبي في أخذ هذا المرام، وأقدم رجلا وأؤخر أخرى في طرفي السكوت والإعلام، فلم أترجح إلى أحد جانبي الإقدام؛ لكونها محتوية على غرائب التأويل، ومنطوية فيها أسرار التنزيل من لوازم حكمية، ولوائح باطنية عقلية لم تبلغ الأوهام إليها، ولم يطلع إلا أصحاب الوحي والتنزيل عليها مع قلبه المتاع وقصور الباع. فكنت بقيت على هذا الحال ممسكا عنان الاشتغال حتى سافرت من بلدة الشيراز في إحدى وثلاثمائة بعد الألف إلى أرض خراسان، ووصلت

فى أثناء السفر إلى الطهران وقلت :

ألق العصا وهذه طهران  
وشرقت إلى حضور حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم، مالك رقاب  
سلاطين الأمم . ولنعم ما قال شاعر العجم :

عادلتر و كاملتر از او هيچ ملك نيست  
إلأملك العرش تبارك و تعالى<sup>١</sup>

حامى حوزة الملة الزهراء، الماحى سواد الكفر بإقامة الشريعة السمحة البيضاء،  
المجاهد فى سبيل الله، والمؤيد بلطف الله، السلطان ابن السلطان ابن الخاقان، و الخاقان  
ابن الخاقان ابن الخاقان، ناصر الدين شاه قاجار صاحبقران، خلد الله سبحانه على مفارق  
العالمين ظلال سلطنته القاهرة، وشيد لإعلاء معالم الدين المتين أركان خلافته الباهرة،  
ساطعا عن ذروة الإقبال أشعة نيران حشمته وسطوته، صاعدا إلى أوج الجلال كواكب  
مواكب عظمته وشوكته، ولا زال شمس سعادته طالعة عن أفق المكرمات الإلهية، مصونة  
عن الزوال وبدر جلاله، ثابتا فى أوج برج الشرف بالكمال، والتفت إلى التفاتا لا يحصى  
حتى أوهن عزمى على الاستنكاف، ورجح ميلى إلى الإسعاف، وقلت لنفسى: هذا أوان  
الشروع فى إظهار أنوار ومصايح يستنبط منها معانى آية النور، ومتوكلا على الله فى  
الظلمات والنور وإن آية النور فى القرآن عيون الحقائق الإلهية، وكنوز المعارف الربانية،  
تنكشف منها بدائع مسائل العرفان، وينشعب منها فنون الحكمة والبرهان .

وما تقاعدت فى منازل تفسير ظاهرها وتنزيلها، بل استشرفت إلى ذروة مقام باطنها  
وتأويلها؛ إذ التفسير بلا تأويل كصباحة بلا ملاحه، بل كشبح بلا روح . وقد دعاه أشرف  
الخلق الأكرم أحبائه بقوله: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»<sup>٢</sup>.

وسميت هذه الرسالة بمصباح المفسرين فى تفسير آية النور . وأتممتها فى المشهد  
المقدس الرضوية على ساكنها آلاف السلام والتحية، وجعلتها ذخيرة ليوم الميعاد  
والنشور، وتحفة فى يوم الورود إلى حضور مظهر ربنا الودود الغفور، مقرب الحضرة العلية  
فى السر والشهود، نقطة دائرة المعالى ومركز محيط العوالى، مجمع الفواضل والفضائل،  
مفخر الأواخر والأوائل، أفلاطون الزمان وأصف الدوران، الحائز قصبات السبق فى مضمار  
العالى، والفائز من سهام المعالى بالقدحين الرقيب، والمطلئ لوالى بالاستحقاق فى المشهد

١ . لمصراع الثانى من البيت «الملك العرش تبارك و تعالى» اقتباس من «خواجوى كرماني» أنشده فى توحيد الله تبارك و تعالى .  
٢ . بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٩٢؛ جامع الأصول فى أحاديث الرسول، ج ٢، ص ٤؛ المحجة البيضاء، ج ٢، ص ٢٥٣ و ٢٥٤ .





الرضوية، الملقب بأصف الدولة الناصرية، لا زال شمس سعادته طالعة عن أفق المكرمات الإلهية، مصنونة عن الزوال، وبدر جلاله ثابتا في أوج برج الشرف بالكمال ودوام أشعة نيران حشمته وسطوته صاعدا إلى أوج الجلال، ولا زال حكومته في الدهر على الأنام حتى وصل فيض وجوده على العلماء الأعلام، ومنّ جوده انتشر علم الحكمة والكلام، وأعزّ صاحبهما من بين العلماء الفخام بالتجلى له العظام مدى الدهر والأعوام، والمسؤول من حضرته العليا ملاحظة تتضمن نيل المرام واللّه وليّ الفضل والإنعام.

فها أنا أشرع في المقصود مستمداً بواهب العلم ومفيض الجود وباسط الخير والجود ومعطى الوجود لكل موجود، مبتدءاً لشرح لفظ النور وهو يليق أن يكتب على حدود الحور بقلم منور كل نور.

فأقول: وبالله التوفيق وعليه تفتى وتوكل في كل الأمور، هو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير.

**قال الله تبارك وتعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ (النور: ٢٤-٣٥).**

### [ما معنى النور؟]

اعلم يا حبيبي أننا نمهد لبيان النور، أنوارا لا بد من إعلانها وإبصارها حتى ينكشف لك أسرار القرآن وكونه معجزا في عالم الإمكان.

النور معناه هو الظاهر بالذات المظهر للغير كنور الشمس، فإنه ظاهر لنا بذاته ومظهر لنا غيره من الألوان والأشكال وغيرها مما هو مبصر بالذات أو بالعرض. وهذا المعنى حق حقيقة الوجود بالأصالة، فإنها الظاهرة بالذات المظهرة لغيرها الذي هو الماهيات. فإن الوجود الحقيقي كما أنه الموجود بذاته والماهية موجودة به وهو الحقيقة بذاته والماهية

١. هذه المطالب من هنا إلى عنوان «تفسير آية النور وتأويلها» كلها منقولة من شرح الحديث العلوي المطبوع في كتاب مجموعة الرسائل للحاج ملاهادي السبزواري مع تلخيص قليل في بعض الموارد، فراجع ص ٧٨٠-٨٢٠.

تصير حقيقة به ، كما هو المقرر ، وهي بذاتها لا موجودة ولا معدومة ولا واحدة ولا كثيرة ولا كلية ولا جزئية وغير ذلك .

كما قال العرفاء : «إنّ الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود أزلا وأبداً ؛ «وذلك» لأنّ الوجود والوحدة ونحوهما ثبت في موضعه زيادتها على الماهيات والتعينات وأن الوجود و

توابعه من الطواري والعواري والودائع لها .

ونعم ما قيل :

وجود اندر كمال خویش ساریست      تعینها امور اعتباریست<sup>۱</sup>  
كذلك الظهور والتورانية والإظهار والإنارة للوجود الحقيقي بذاته وللماهيات به .



### [الفرق بين النور الحقيقي و النور الحسى]

واعلم يا حبيبي! أنّ بين التور الحقيقي الذى هو الوجود الحقيقى وبين التور الحسى فروقا :

**أحدها:** أنّ التور الحسى عرض والتور الحقيقى بذاته لا جوهر ولا عرض بل هو فوق الجوهرية .

**وثانيها:** أنّ التور الحسى يظهر به المبصرات فقط والتور الحقيقى يظهر به المبصرات والمسموعات والمشمومات والمذوقات والملموسات والخياليات والوهميات والعقليات من الذوات المجردة عن المادة والعوارض الجسمانية المعرّاة بتعريفية معرّ، ومن المعقولات المجردة بتجريد مجرد والمعرّاة بتعريفية معرّ، مثل الكليات العقلية المحذوفة عنها المشخصات . ومن مراتب التور الحقيقى هو نور الأنوار جل شأنه وهو ما وراء عالم العقل والحسّ والأمر والخلق .

**وثالثها:** أنّ التور الحسى انبسط على الظواهر خاصة من السطوح والأشكال والألوان ، والتور الحقيقى أحاط بكلّ شىء فنفذ فى بواطن المستنيرات بحيث أفنى المستنيرات التى هى الماهيات ؛ لأنّ تركيب الوجود والماهية اتحدانى اتحاد الفانى مع المفنى فيه وبوجه كانعمار الجنس العالى فى الفصل فى البسائط الخارجية ، فصارت أنوارا صيرورة الظلمة فانية فى نور الشمس عند طلوعه .

۱ . مفتاح الإعجاز فى شرح گلشن راز ، ص ۳۹۴ و ص ۷۴۶ .





ورابعها: أن النور الحسى لا حياة ولا شعور له والنور الحقيقي كله حياة وعلم وعشق إذا التور الغنى الوجوبى حياة كله، علم كله، إرادة كله، ووجودات العقول الكلية والتقوس الفلكية والأرضية أنوار حقيقية كلها حياة وعلم وإرادة. كيف؟ وكل مجرد عقل وعاقل ومعقول بذاته ولذاته، وعشق وعاشق ومعشوق بذاته ولذاته ولباطن ذاته، ومن الأنوار الحقيقية مطلق العلم وفي الحديث «العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء»<sup>١</sup> وقد عرف الشيخ الإشرافى شهاب الدين السهروردى:

علم المجرد بذاته وبغيره ويكون الشىء نورا لذاته ونورا لغيره الذى هو نور لذاته.

وخامسها: أن النور الحسى له أفول وله الثانى؛ والنور الحقيقى ليس له أفول وثان؛ إذ حيثية الوجود الحقيقى حيثية الوجوب وحيثية الامتناع عن العدم؛ إذ المقابل غير قابل للمقابل، والقابل يجتمع مع المقبول، فالبياض لا يقبل السواد وبالعكس، بل القرطاس مثلا يقبلهما، والسخونة لا يقبل البرودة وبالعكس، بل مثل الماء يقبلهما والصورة النوعية المائية لا تقبل الهوائية وبالعكس بل المادة تقبلهما.

ولما كان الوصل لم يقبل الفصل وبالعكس أثبتوا الحكماء هيولى قابلة لهما فكذلك الوجود لا يقبل العدم والعدم لا يقبل الوجود، بل الماهية تقبلهما؛ ولهذا قال الله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام: **إِنِّى لَا أَحَبُّ الْأَفْلِينَ** (الأنعام (٦): ٧٦).

وهذا استدلال منه عليه السلام بهيئة الشكل الثانى أن الكوكب أفل، وربى ليس بأفل، فالكوكب ليس بربى. ثم كيف له ثان وصرف الوجود الذى لا أتم منه كلما فرضت ثانيا له فهو هو لا غيره، لأن صرف الشىء لا يتثنى ولا يتكرر، لأنه جامع لجميع ماهو من سنخه فاقد لما هو من غرائبه فصرف البياض مثلا جامع لبياض الثلج والعاج والقطن ونحوها، فاقد للموضوعات والجهات والأوقات مثلا لا ثانى له من البياض وهو واحد إذ لو فرضت بياضا آخر فأخريته إما بأخذ موضوع معه وإما بأخذ جهة أو وقت أو غير ذلك والفرض حذف الغرائب. وأما الوجود فغيره ليس إلا العدم؛ لأن مفهومه أعم العامات، وحقيقته أوسع الواسعات. وليس شىء فى الخارج ولا فى الذهن إلا وهو وجود ولا شىء مفروض تجويزيا أو تقديريا إلا ويحمل عليه الوجود حملا شائعا.

هيچ چیز از بی نهایت بی شکى چون برون نايد كجا ماند يکى<sup>٢</sup>

١. بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٣٦.

٢. منطق الطير، ص ٣، ش ٤٤، ولكن فيه «چون بسرناید» بدل «چون برون نايد».

وسادسها: أن النور الحسى فى نوريته وإنارته محتاج إلى النور الحقيقى وهو غنى عن الحسى، لأن الحسى بوجوده ظاهر ومظهر ووجوده مرتبة نازلة من النور الحقيقى. هذا هو التحقيق فى النور الحقيقى.



### [ما معنى النور عند أهل الإشراق؟]

وعند أهل الإشراق من الحكماء يطلق على مراتب؛ وهى الأنوار الحسية العرضية، والأنوار الإسفهدية الأرضية، والأنوار الأسفهدية السماوية، والأنوار القواهر الأدنون المسمون عندهم بأرباب الأنواع وربات الأصنام، وأصحاب الطلسمات، والأنوار القواهر الأعلون، وهم العقول المرتبة بالعلية والمعلولية، والنور الأقهر الأبهر؛ نور الأنوار جلت عظمته.

والأول: هو المشرب الأعذب الأهنأ الأحلى والأوسع الأتم الأعلى، إذ النور عند أهل التحقيق هو حقيقة الوجود أينما تحقق وحيثما أشرق؛ وعندهم المقولات التسع العرضية كلها هيئات غاسقة إلا قليل من مقولة الكيف، وهو الأشعة الشمسية والقمرية والنجمية والسراجية ونحوها، ومقولة الجوهر كله نور إلا الجواهر الممتدة، وهى جواهر غاسقة وبرازخ ظلمانية.

قال الشيخ الإشراقى فى كتاب حكمة الإشراق:

والنور ينقسم إلى ما هو هيئة لغيره، وهو النور العارض، وإلى نور ليس هو هيئة لغيره، وهو النور المجرد، والنور المحض. وما ليس بنور فى حقيقة نفسه ينقسم إلى ما هو مستغن عن المحل، وهو الجوهر الغاسق، وإلى ما هو هيئة لغيره، وهو الهيئة الظلمانية<sup>١</sup>. وقال العلامة فى شرحه: «وهى المقولات التسع العرضية ما خلا النور العارض»<sup>٢</sup>. ومراد الشيخ بالنور المجرد والنور المحض ما ذكرنا من نور الأنوار والأنوار القاهرة والأنوار الإسفهدية.

### نور: [فى أصالة الوجود]

اعلم يا حبيبى! أنك إذا عرفت أن النور الحقيقى هو الوجود، فاعرف أن الوجود عند أهل الحقيقة أصيل، وأن الوجود العوانى وهو المفهوم العام البديهى عنوان لحقيقة بسيطة مبسطة هى عين الأعيان وطاردة للعدم عن ماهيات عالم الإمكان ولعدم فرق بعض من

١. مجموعته مصنفات شيخ اشراق، ج ٢، ص ١٠٧، كتاب حكمة الاشراق.

٢. شرح حكمة الإشراق لقطب الدين الشيرازى، ص ٢٨٥.



يدعى العلم والكياسة بين الوجود العنوانى والمعنوى وقعوا فى الهرج والمرج، كما قال المحقق العلامة الدوانى .

فحيث سمعوا من الحكماء الراسخين أنّ الواجب الوجود بالذات وجود بحت أو لا ماهية له غير الإينية أو ماهيته إيتته أو من العرفاء الشامخين أنّ الواجب الوجود بالذات وجود مطلق كما نطق به العارف الرومى :

ما عدمها ييم وهستيها نما  
والشيخ فريد الدين العطار النيسابورى :  
آن خداوندى كه هستى ذات اوست  
جملة اشياء مصحف آيات اوست

إلى غير ذلك من مقالاتهم، حملوها على الوجود العام البديهي، إذ لا معنون له لقولهم باعتبارية الوجود حاشاهم عن ذلك، بل أرادوا تلك الحقيقة التي هي عين الأعيان وحقّ الواقع ومتن نفس الأمر التي لا تحصل بكنهها في الذهن وإلا لانقلبت كما قرّر في موضعه . وطريق العلم بها إما بالعلم الحضورى، كعلم الشيء بنفسه وعلم الفانى بالمفنى فيه وإما بالوجوه العامة، كالعلم بها بالعنوانات الشاملة من الوجود العام البديهي والوحدة المطلقة والتور المطلق والحياة السارية والعشق السارى والمشية والإرادة وغير ذلك . وإما بالوجوه الخاصة، كالعلم بالماهيات الإمكانية وأنها ما هي وهل هي ولم هي؟ فإنّ الحدود بقدر الوجود وبحسبه، فإنّ الحكيم باحث عن الحقائق لا عن المفاهيم . وهذان الطريقتان وظيفة الحكيم الإلهي والثانى من الأول شأن الحكيم المتأله .

نعم فى الوجود العنوانى حكايات عن الحقيقة المعنونة، إذ فيه الحيطة والسعة، وفيه العموم والكلية، وفيه التور والظهور، وفيه البداهة الأولية، وفيه الأسبقية على الماهيات الخارجة فى مراتب نفس الأمر والأعيان، وفيه الأقدمية على التصورات فى الأذهان . فهى الأول الأوائى فى جميع المواطن والنشآت، وهو أول الأوائى فى الذهن ونشأة التصورات، وهى حقيقة بسيطة تتكثّر بتكثّر الموضوعات، وفى نفسها لها الوحدة الحقّة، وهو مفهوم واحد يتكثّر بإضافات من الذهن له إلى الخصوصيات . وتسمى عند أرباب العلوم العقلية بالحصص، إلى غير ذلك من التطبيقات .

١ . كذا فى أصل الكتاب المخلوط وفى كتاب مجموعة الرسائل ص ٧٨٦ وفى بعض نسخ المتنوى، ولكن فى المتنوى، طبع الإسلامية هكذا



ثم اعلم أنّ القائلين بأصالة الوجود تحزّبوا أحزابا: فظاهر أقوال الحكماء المشائين أنّ الوجودات الحقيقية حقائق متباينة بتمام ذواتها البسيطة، كالتباين النوعي بين أنواع بسيطة، والتخالف بين فصول أخيرة بسيطة وبين أجناس قاصية بسيطة. وهذا باطل وإلا لجاز انتزاع مفهوم واحد من حقائق متباينة من حيث هي متباينة لثبوت الاشتراك المعنوي في الوجود، ولتمت شبهة ابن كمونة<sup>١</sup> ولم يحلّ عقده قط؛ لأنه لو جاز التباين بين وجودي العلة والمعلول جاز أن يكون هناك هويتان بسيطتان مجهولتا الكنه مختلفتان بتمام ذاتيهما البسيطتين، ويكون مفهوم الوجود والوجود منتزعا عنهما لذاتيهما.

وأیضا لو جاز التباين بين الوجودات الحقيقية جاز أن يكون معطى الكمال والفعليّة فاقدًا لهما، ولم يكن الموجودات الأفقية والأنفسية آيات الله، وهل يكون الظلمة آية النور؛ والبرد آية الحرور؟ ولم يكن العلة حدًا تامًا للمعلول ولا المعلول حدًا ناقصًا للعلة كما قال القدماء؛ ولم يكن العلم بالعلة علما بالمعلول ولا مستلزما له كما قال الكل؛ ولم يكن ما هو لم هو في كثير من الأشياء كما قال المعلم الأول ارسطاطاليس؛ ولم يكن التغيرات الطولية استكمالا كتفصيل وإجمال ونشر ولفّ ولبس ثم لبس بل كخلع ثم لبس. وبطلان التوالى كثبوت الملازمة ظاهر على العارف ذى المقام الشامخ والحكيم الراسخ.

وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (الأسراء: ١٧)؛ (٨٤)

وقال النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ»<sup>٢</sup>.

وفى كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى العقول الكلية إشارة إلى هذا بقوله «القي فى هويته مثاله فأظهر عنها أفعاله»<sup>٣</sup>.

ونعم ما قيل:

جو آدم را فرستادیم بیرون جمال خویش بر صحرا نهادیم

والذى حدّاهم على القول بهذا التباين مسألة العلة والمعلول، وأنهما لو كانا مثلين لزم الترجيح من غير مرجح أو التسلسل. وهذا باعث واه للكفاية التفاوت بالتمام والنقص

١. أى بناء على تباين الوجودات

٢. التوحيد، ص ١٠٣، ١٥٢ و ١٥٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٠؛ مسند احمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٤٤؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٢؛ و عوالى اللئالى، ج ١، ص ٥٣.

٣. غرر الحكم ودرر الكلم، ج ٤، ص ٢١٩.



والبينونة الصفتية لا العزلية كما قال عليّ عليه السلام: «توحيدته تمييزه من خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة»<sup>١</sup>.

ولبطلان ظاهر قولهم أوله صدر المتألهين في أوائل الشواهد الربوبية<sup>٢</sup> بأن مرادهم التباين بحسب الماهية لا اتحاد الوجود والماهية في الواقع .  
وذهب الفهلويون إلى أن للوجود مراتب متفاوتة بالتفاضل تامّ وفوق التمام ، ومستكف وغير مستكف ،

وأیضا وجود حقّ ووجود مطلق ووجود مقيد ، والوجود الحقّ هو مرتبة فوق التمام ، والوجود المطلق ظهوره ورحمته الواسعة ، ومشيتة الفعلية ، وفيضه المقدّس .  
وفي الشّرع المطهّر يعبر عنه بكلمة «كن» وفي اصطلاح العرفاء بالنّفس الرّحمانى المقارع للمقاطع الثمانية والعشرين : من العقل ، والنّفس ، والأفلاك التسعة ، والأركان الأربعة ، والمواليد الثلاثة ، فهذه ثمانية عشر .

وباعتبار مظهريتها للأسماء الحسنی الالهيّة الإلهية ثمانية عشر إفا من العوالم وعالم المثال ، والمقولات التسع العرضية ، فصارت ثمانية وعشرين مقطعا والوجود المقيد الوجودات المجردة الجبروتية والملكوّية من الملكوت الأعلى والأسفل والملكيّة من الأجرام العلوية والسقلية الأمّهات والمواليد ووجودات الأعراض .

وبعبارة أخرى ، الحروف العالوية وهي العقول والكلمات الأسمائية ، وهي النفوس ، والكلمات الأفعالية المقترنة بالزمان ، وهي الأجسام ، والقوى والطبائع المتجددة بالذات وصفاتها وآثارها ؛ لأنّ الأعراض إمّا عدم القرار معتبر في وجودها ، كالمقولات الأربع التي تقع فيها الحركة عند المشهور ، وإمّا عدم القرار معتبر في مفهومها ، كالمتى وأن يفعل وأن يفعل ، وإمّا تابعة محضة ، كالإضافة و الجدة .

ومعنى كون الوجود ذا مراتب ودرجات متفاضلة أنّه سنخ واحد وكنوع واحد مشكك ما فيه التفاوت وما به التفاوت وما به الاتفاق جميعها من نفسه و وحدته ليست عددية ، بل سعة وحيطة ، وليس بينها تباين نوعي ، بل بينها سنخية .

ولا يقال لها نوع واحد أيضا ؛ لأنّ التوعية من المعقولات الثانية تعرض شيئية الماهية لا شيئية الوجود الحقيقي الذي هو حقيقة الشيئية ، و سنخية مراتبه فوق التماثل ؛ لأنّ المثليين

١ . بحار الانوار ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ ، ح ٧ .

٢ . الشواهد الربوبية ، ص ٧ .

فردان متفقان في الماهية ولازمها، والوجود الحقيقي ليس بماهية وتميزات مراتبه بوجه  
كتميزات مراتب النفس الإنسانية الشخصية، من التامة، والحسية و النطقية القدسية،  
والكلية الإلهية، فليست أفرادا متباعدة أربعة بل درجات لنفس واحدة.

وفرق بين التميز والتشخص ويجوز الكثرة في التميز والوحدة في التشخص. والشيخ  
الإشراقى هذا الذى قلنا فى الوجود مذهبه فى النور من كونه ذا مراتب متفاضلة.

فقال فى حكمة الإشراق:

النور كله - أى سواء كان جوهرًا أو عرضًا - فى نفسه لا يختلف حقيقته إلا بالكمال  
والتقصان.<sup>١</sup>

وقال أيضا، «الأنوار المجردة لا تختلف فى الحقيقة».<sup>٢</sup>

وقال أيضا فيما بعد بورقة:

فى أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد فأول ما يحصل منه نور مجرد واحد، ثم لا يمتاز  
عن نور الأنوار بهيئة ظلمانية مستفادة عن نور الأنوار، فيتعدد جهات نور الأنوار مع  
ما برهن من أن الأنوارسيما المجردة غير مختلفة الحقائق. فإذا التمييز بين نور الأنوار  
و بين النور الأول الذى حصل منه ليس إلا بالكمال و التقص.<sup>٣</sup>

انتهى كلامه.

وإلى هذه الأنوار المجردة أشار الله عز وجل فى كتابه الكريم فى الآية التى كنا بصدد  
شرحها وتويرها بنورها بقوله: ﴿اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ مِثْلُ نُوْرِهِ كَمِشْكُوْتٍ فِيْهَا مِصْبٰحٌ  
المِصْبٰحُ فِيْ زَاجِحَةِ الرَّجٰحَةِ كَاَنْهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُّوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَّبٰرَكَةٍ زَيْتُوْنَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا  
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيْءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّوْرٌ عَلٰى نُوْرِ يَهْدِيْ اللّٰهُ لِنُوْرِهِ مَنْ يَّشَاءُ وَيَضْرِبُ  
اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ﴾ (النور: ٢٤: ٣٥).

وكذا اشير إلى هذه الأنوار فى أسماء الله تعالى «يا نور النور يا منور النور، يا خالق  
النور يا مدبر النور، يا مقدر النور، يا نور كل نور، يا نور قبل كل نور، يا نور بعد كل  
نور، يا نور فوق كل نور، يا نور ليس كمثله نور».<sup>٤</sup>

١. مجموعه مصنفات شيخ اشراق، ج ٢، ص ١١٩، حكمة الاشراق.

٢. نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٠، حكمة الاشراق.

٣. نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٦، حكمة الاشراق.

٤. مفاتيح الجنان، دعاء جوشن الكبير، الفصل ٤٧.





ومن اسمائه «يا من له نور لا يطفى»<sup>١</sup> وهو نور الوجود الحقيقي الذي لا يقبل العدم في نفسه كما مرّ بيانه، وكما لا نور أظهر من الوجود لا ظلمة إلاّ العدم، فلا مظلم في مراتب الوجود، بل مراتب الوجود أنوار بعضها فوق بعض .

### نور: [في الجواهر و الاعراض]

اعلم أنّ الموجود الممكن إمّا جوهر وإمّا عرض والعرض تسع مقولات مشهورة، والجوهر إمّا جسم، وإمّا جزئاه وهو المادة والصورة الجسميّة، وإمّا صورة نوعيّة من القوى والطبائع الحالّة في الأجسام حلولا سريانيا، وإمّا نفس ليس لها حلول ولها تعلّق تديبيريّ بالجسم ولا افتقار لها إليه من حيث أصل وجودها لكن لها افتقار في فعلها واستكمالها، وإمّا عقل لا تعلّق له أصلا بالجسم، لا تعلّق الجزئيّة والامتزاج، ولا تعلّق الحلول والانطباع، ولا تعلّق التدبير والتصرف .

والفرق بين العقل والنفس مع كون كليهما مشتركين في الغناء الذاتى عن المادة والتجرّد في أصل الوجود غير خفى؛ لأنّ النفس وإن كانت مترفّعة عن عالم الخلق وهى أمر ربّانيّ ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الأسراء: ١٧) : (٨٥) وسرّ سبحانيّ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي﴾ (الحجر: ١٥) : (٢٩) لكن لها التفات وتوجّه إلى عالم الصّورة . والعقل له ترّفّع لا التفات وتوجّه له إلاّ إلى الله وكلّ استغراقه فيما فوقه، والنفس لها حاجة في استكمالاتها بأفعالها إلى البدن وجوارحه وقواه، مثل أنّها تحتاج إلى اليد إذا أردت البسط أو البطش، وتحتاج إلى الرّجل إذا أردت الاطّلاع على ما في مكان آخر من الجزئيّات وفي المشى إلى المعلم أو إلى المعبد، وكذا تحتاج فيه إلى القوّة المحركة المنبثّة في عضلاتها، وتحتاج في الإبصار إلى العين ولو لم يكن شيء واحد من طبقاته السبع أو رطوباته الثّلاث لم يكن لها نصيب من علم الأشكال والألوان والأضواء .

ولو لم يكن الصّماخ لم يكن لها سهم وحظّ من عالم الأصوات الموضوعة وغيرها، وقس عليها سائر الإدراكات والتحريكات بخلاف العقل؛ فإنّه غنىّ بغناء الله تعالى، مرید بإرادة الله . وإرادة الله تعالى فعالة نقّادة، بل نفس مشيئة الله ومصداق «من رأى فقد رأى الحق»<sup>٢</sup>

١ . نفس المصدر، دعاء جوشن الكبير، الفصل ٧١ .

٢ . بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٣٥؛ صحيح البخارى، ج ٨، ص ٧٢، باب من رأى النبي ﷺ في المنام؛ وعنه في فتح البارى، ج ١٢، ص ٣٨٣ .



فيستط ويبيطش بمحض الإرادة، ويبصر ويسمع بلا عين ولا اذن .

وبالجملة ، يدرك بلا جارحة ولا حاجة إلى قوة ، بل بمجرد العلم الحضورى بكل شىء  
ومن الحاضرين عنده المرئى والمسموع إلى المتخيل والمتوهم فانه الآية الكبرى لله ذى  
العظمة والكبرياء ، والتفوس بعد الاستكمال بعناية الحق المتعال إن استغنت عن البدن و  
قواه واكتفت بذاتها وباطن ذاتها عن جميع الأشباح الصورية والمادية ، وصارت متخلقة  
بأخلاق الروحانيين نالت هذه الغبطة العظمى .

ونعم ما قيل : «نفس را چون بندها بگسيخت ، يابد نام عقل» .<sup>١</sup>

بل قال النبي ﷺ : «تخلقوا بأخلاق الله» .<sup>٢</sup>

ولكل من الأنبياء والأولياء سلام الله عليهم مقام أشمخ من ذلك المقام من الغناء  
وأغبط من تلك الغبطة العظمى كما قال سيد أولاد آدم : «لى مع الله وقت لا يسعنى فيه  
ملك مقرب ولا نبي مرسل» .<sup>٣</sup>

ونعم ما قيل :

احمدار بگشايد آن پر جليل      تا ابد مدهوش ماند جبرئيل<sup>٤</sup>

وما قيل أيضا :

چون به خلوت جشن سازد با خليل      پر بسوزد دزنگنجد جبرئيل  
چون شود سيمرغ جانش آشكار      موسى از دهشت شود موسيجه وار<sup>٥</sup>

### نور: في بيان اشتراك لفظ العقل بين المعانى

اعلم يا حبيبي أنّ لفظ العقل مشترك بين معانى والاشتراك مثير الاشتباه .

الأول : الغريزة التي بها يمتاز الإنسان عن البهائم ويستعد لقبول العلوم النظرية وتدبير  
الصناعات الفكرية ويستوى فيه الذكي والبليد ، وهو حاصل في حال زوال العقل بمعنى

١ . هكذا نقله الحكيم السبزواري وقال المحقق الآشتياني ذيله : «من القصيدة المعروفة للحكيم الفندرسكى» ، فراجع مجموعة  
الرسائل ، ص ٧٩٥ .

٢ . بحار الأنوار ، ج ٦١ ، ص ١٢٩ ؛ مجموعة الرسائل للحكيم السبزواري ، ص ٧٩٥ ؛ منازل السائرين للقاساني ، ص ٢٣٥ ،  
باب الخلق .

٣ . بحار الأنوار ، ج ٨٢ ، ص ٢٤٣ .

٤ . المثبوى ، ص ٤٣٨ ، س ١٠ ، نمودن جبرئيل خود را به مصطفى ...

٥ . منطق الطير ، ص ١٩ ، ش ٣٤٨ و ٣٤٩ .





آخر . ويظهر كمال الظهور بذكر قول من يقول :  
« لا تفاوت بين الإنسان والحيوان الغير الناطق فى الغريزة ، والله تعالى جرت عادته بأن  
يخلق فى الإنسان علوما دون الحيوان » .

وهذا بين السخافة فأين العدل الذى به قامت السموات والأرض .  
ومن يقول بهذا فليقل به فى الحيوان والجماد بالنسبة إلى خلق الحس والحركة الإرادية فى  
الحيوان دون الجماد مع تساويهما فى غريزة الحياة والوجدان الصحيح لا يتأمل فى بطلانه .  
والثانى : العقل بمعنى التمييز بين الخير والشر بالفعل وهو الذى هو مناط التكليف والرشد  
فى المعاملات .

والثالث : العقل العملى المستعمل فى كتب الأخلاق ، وهو ما به يحصل العلوم المتعلقة  
بالأعمال .

وقد عرف الشيخ فى الإشارات القوة المسماة بالعقل العملى بأنها  
هى التى تستنبط الواجب فيما يجب أن يفعل من الأمور الإنسانية جزئية ، لتوصل به  
إلى أغراض اختيارية من مقدمات أولية وذائعة وتجريبية وباستعانة بالعقل النظرى فى  
الرأى الكلى إلى أن ينتقل بها إلى الجزئى<sup>١</sup> .  
انتهى كلامه .

وهذا العقل يزيد ويشتد بكثرة التجارب ؛ لأن المقدمات المستعملة هنا فى الاستنباط  
تجريبية فى الأغلب ، فيزيد بطول تجربة شىء شىء من الأمور الإرادية التى لنا أن نختارها  
أو نحترز عنها .

وشأن أهل الحق تكميل هذا العقل بالتعقل للقضايا المستعملة فى كتب الأخلاق التى  
هى مبادئ للآراء والعلوم التى لنا أن نعقلها لنفعلها أو نتجنب عنها ونسبة هذه القضايا  
إلى العقل العملى كنسبة العلوم الضرورية إلى العقل النظرى .

والرابع : وهو المتعارف عند جمهور الناس و أهل الدنيا جودة الروية وسرعة التفطن فى  
استنباط ما به يحصل الجاه والمال . وبالجملة ، جودة الروية فى تكثير طرق جلب المنافع  
الجزئية ودفع المضار . وعند الحكماء تكثيرها جريزة وتفريطها بلادة .

والحكمة الخلقية هى التوسط بينهما كمال يقال : « خير الأمور أوسطها » .<sup>٢</sup> وشأن الحكيم

١ . الإشارات والتنبيهات ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

٢ . الكافى ، ج ٦ ، ص ٥٤١ ، ح ١٨ ؛ عوالى اللئالى ، ج ١ ، ص ٢٩٦ ، ح ١٩٩ ؛ بحار الانوار ، ج ٤٨ ، ص ١٥٤ ، ح ٢٦ .



عدم المبالاة بالجزئيات الدائرة المغيابة بالغايات الوهمية .  
وقال عليه السلام: «العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان» فسئل عما هو في معاوية عليه  
اللعنة؟ فقال عليه السلام: «ذلك هو الشيطان والنكراء»<sup>١</sup> .

والخامس: العقل النظري وهو الذي يعلم به حقائق الأشياء التي ليست بقدرتنا واختيارنا .  
وبالجمله، يحصل به علوم ليست غايتها أن تفعل، وليست معرفة بكيفية العمل، بل أن  
تعلم فقط وغايتها أنفسها .

وبعبارة القرآن؛ هذه العلوم هي الإيمان بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله .  
وبالفارسية؛ خود شناسی و خداشناسی و فردا شناسی، چنانکه علوم اندوخته عقل  
عملی فرمان خداشناسی است چه فرمان شریعت و چه فرمان طریقت .  
وبالجمله، العقل النظري قوة تفعل عن المبادئ العالیة وتتعلّم في مدرس روح القدس  
من ذلك المعلم الشدید القوى .

والعقل العملي قوة تفعل في البدن باستخدام المحركة ما تعلمه من العلم بكيفية العمل .  
ولهذا العقل أربع مراتب: العقل بالقوة، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل  
المستفاد، بل له مرتبة خامسة هي العقل الفعال؛ اذ التحقيق أنه يتحد في الاستكمال بالعقل  
الفعال كما هو مذهب كثير من اعظم الحكماء من السابقين على الدورة الإسلامية  
واللاحقين . وهذه الأربع مشروحة في كتاب النفس معروفة كما لا يخفى على من له قدم  
راسخ في الحكمة .

والسادس: العقل الكلي وهو عالم فسيح يقال لعالمه عالم الجبروت وعالم الكونين  
الصوريين في فسحته كحلقة في فلاة وهو الموجود التام الذي لا حالة منتظرة له ولا تعلق  
له إلا بقيومه تعالى الذي فوق التمام إذ لا تعلق له بالماهية كما هو مذهب الحكيمين  
العظيمين المتألهين شهاب الدين السهروردي و صدر الدين الشيرازي - قدس الله تعالى  
سرهما - فضلا عن التعلق بالموضوع والمادة، أو المتعلق .

وما ذكره من أنه لا ماهية له وللنفوس المجردة الإنسانية، والتفاوت بين هذه الأنوار  
وبين نور الأنوار بهر برهانه بالشدة والضعف والغنى والفقر حق لا ريب فيه، فافهم . وليس  
هنا مقام البسط فان شككت فارجع إلى كتب الحكيمين المذكورين حتى ينكشف لك يا

١ . الكافي، ج ١، ص ١١، كتاب العقل والجهل، وفيه «تلك النكراء، تلك الشيطان وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل» .



حبیبی حقيقة الحال بشرط أن تبعّد منك العصبیة والعناد واللّه الهادی إلى طریق الرشاد .  
وأعلم أيضا یا حبیبی أن لفظ العقل الكلّی أيضا مشترك بین معانی ، فقد يطلق ويراد به  
جميع العقول الّتی فی السلسلة التّزویة - سواء كانت من الطبقة الطویة المترتبة أو العرضیة  
المتكافئة - ،

وقد يطلق ويراد به كل واحد منها .

وقد يطلق ويراد به العقل الأول ؛ لأنه عند المشائین علة لوجود الفلك الأطلس الّذی  
يقال لجرمه جرم الكلّ ، ولحركته حركة الكلّ .

وقد يطلق ويراد به كلّ من العقول التّبویة والولویة سیما ختم الأنبياء وسید الأولیاء كما  
ورد فی الحديث : «أول ما خلق اللّه نوری»<sup>١</sup> و«أنا وعلى من نور واحد»<sup>٢</sup> .

وهذه العقول الكلّیة فی السلسلة الصعودیة بإزاء العقول الكلّیة فی السلسلة التّزویة .  
وأما البراهین العقلیة على وجود العقول فی سلسلة البدايات فكثیرة مذكورة فی كتب  
الحكمة الإلهیة ، وتقتصر هنا على ذكر بعض منها :

منها : ما يتفرّع على قاعدة إمكان الأشرف ، وهو أن الأنوار المدبّرة وهی النفوس النّاطقة  
الّتی علم وجودها وثبت تجرّدھا ، والأنوار القاهرة وهی العقول الكلّیة أبعد عن العلائق  
الظلمانیة وأتمّ فعلیة ؛ لافتقار النفوس إلى الاستكمال دون العقول ، فهی أشرف ، وإذا  
وجدت النفوس وهی المجرّدات المتعلّقة ، فوجب وجود العقول وهی المجرّدات المرسلّة  
عن الحكیم العليم القدير تعالی شأنه العزیز ، وهو المطلوب كما لا يخفی .

ومنھا : ما يتفرّع على قاعدة الرّبط بین المؤثّر والأثر ، فإنّ النفس من جهة التعلّق والكثرة  
والقوة والحالة الانتظاریة والحدوث التجددی لا ربط له بالقدوس الواحد الأحد التّام وفوق  
التّمام حتّى يكون صادرة أولا بلا واسطة بخلاف العقل ؛ لإرساله عن التعلّق والتوجه إلى  
عوالم الصّورة بشرائها فضلا عن صورة محدودة طبیعیة أو مثالیة ، ولوحدته الحقیة  
الظلیة ، ولتمامیته وخلوص فعلیته عن شوب الاستعداد ، ولعدم التّهایة المدى فيه وإن كان  
متناه الشّدة النوریة بالنسبة إلى النّور الأقهر الأبهر الوجوبی بهر برهانه . ولولا وجود العقل

١ . عوالی اللّثالی ، ج ٤ ، ص ٩٩ ، ح ١٤٠ ؛ بحار الأنوار ، ج ١ ، ص ١٠٥ ؛ ج ١٥ ، ص ٢٤ ، ح ٤٦ ؛ ج ٢٥ ، ص ٢٢ ، ح ٣٨ .  
٢ . الكافی ، ج ١ ، ص ٤٤٢ ، ح ٩ ؛ عوالی اللّثالی ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ، ح ٢١١ ؛ بحار الأنوار ، ج ١٥ ، ص ١١ ، ح ١٢ ؛ وأیضاً  
ج ٢٥ ، ص ٣٦ - ١ ، باب بدو أرواحهم ... و أنّهم من نور واحد من أبواب خلقهم ...

الكلّي انغلق باب الإفاضة؛ لعدم السنخية والربط في غيره بالمبدء تعالى شأنه العزيز .  
ومنها: برهان إخراج النفوس من القوة إلى الفعل، إذ لا بد لكل متحرك من القوة إلى  
الفعل من محرك ولكل خارج منها إليه من مخرج .

إذ الشئ الواحد لا يكون بذاته مفيدا ومستفيدا وفاقدًا وواجدا وقابلا منفعلا وفاعلا .  
والنفوس في أول الأمر عقول بالقوة تسمى هيولانية؛ لخلوها عن حلل المعقولات وحلّى  
الأخلاق . فلا بد وأن يكون هنا أقلام ناقشة في النفوس - أرضية كانت أو سماوية - نقوشا  
علمية محضة، أو علمية عملية، كما يترشح من نقطة مداد رأس القلم، التي هي بمنزلة  
الوجود الجمعي للحروف الكتبية، التي بمنزلة الحروف التكوينية على اللوح الصوري، الذي  
هو بمنزلة اللوح المعنوي، الذي هو النفس المجردة، الحروف المقطعة والحروف المركبة،  
وكلها بيد المتكلم الكاتب الحقيقي .

و نعم ما قيل :

در کف کاتب وطن دارم مدام کرده بین الإصبعين او مقام  
نیست در من جنبشی از ذات من اوست در من دمدم جنبش فکن  
ومنها: مسلك كون العقول غايات حركات الأفلاك وهو أن الفلك إنسان كبير حى،  
وأثبتوا له نفسا منطبعة بمنزلة خيالنا، بل لقوة مدركاته بمنزلة الحس المشترك لنا .  
فهذه النفس منطبعة سارية في جميع بدن الذي كالروح البخارى لنا . فالفلك سمع كله، شم  
كله، بصر كله، ذوق كله، لمس كله، لكن بنحو الفعالية لا بنحو الاستكمال والانفعال من  
الملموسات والمذوقات وغيرهما، وكذا خيال كله، ووهم كله لا بنحو الأغاليط .  
وبهذه النفس يدرك الجزئيات وأوضاعها وحركاتها الجزئية، كما تدرك أنت بحسك  
وخيالك خطواتك، وبها يدرك لوازم أوضاعها في عالم العناصر؛ إذ كلما تقع من الجزئيات  
فهى لوازم أوضاعها . ونفسا أخرى كليته بمنزلة عاقلتنا، وبها تدرك المجردات والكيليات  
من الأوضاع ولوازمها، مثل كل ما كان كذا من الأوضاع كان كذا، وغير ذلك .  
وبالحقيقة، هما واحدة، لها مرتبتان نازلة وعالية، بل أنزلهما الطبيعة الخامسة التي تباشر  
تحريكها .

واستدلوا على أن الفلك متحرك بالإرادة وليست حركته طبيعية بأن الطبيعة إذا كانت  
طالبة لوضع ليست هاربة عنه، فإن طبيعة الثقل طالبة للكون في الأسفل وليست أبدا هاربة  
عنه، وطبيعة الخفيف طالبة للكون في الأعلى وليست دائما نافرة عنه، وأما الفلك فكل





وضع يطلبه بحركته إذا وصل إليه يتركه وبالعكس .

إن قيل : طبيعة الحجر أيضا كل وضع من أوضاع الكون في الوسط في حال الحركة  
تطلبه بتحريكها جسم الحجر وإذا أوصلته إليه تركته .

قلت : طلب طبيعة الفلك كل وضع كان بحيث هو بعينه ترك له وبالعكس ، فإن طلب  
طبيعة الشمس الوضع الذي لها عند وصولها إلى المغرب بعينه هرب من ذلك الوضع إذا  
لاحظت وصولها الأمامى إليه وهربها عنه عند وصولها اليومى طلب إذا لاحظت وصولها  
الغدى ؛ إذ بين كل وضعين يرد على الفلك والفلكى أوضاع غير متناهية ولكن بنحو الاتصال  
الوحدانى ، وما لم يخطوا فيها لم يرد عليهما ذلك فالأوضاع التى بها الهرب بها الطلب  
بعينها وفى الطبائع التى هى مبادئ الميل المستقيم ليس الأمر كذلك ، فالفلك بإرادته يفعل  
وضعا ويدعه .

وما قال بعض الحكماء : «إن حركة الفلك طبيعياً» ، أراد أن الفاعل المباشر طبيعته  
الخامسة التى هى مبدء الميل المستدير الدائم والفاعل المباشر فى كل حركة إرادية أرضية  
أو سماوية هو الطبيعة ، لكنها مسخرة تحت النفس لا أنها بالطبيعة الغير المقارنة للشعور ،  
كحركات العناصر الغير المقهورة تحت نفس .

وعند أستاذى الهادى المضلين - قدس سره - أدلة أخرى على كون حركة الفلك نفسانية  
وأنة حيوان كبير بل إنسان كبير . وهى أربعة :

الأول : أن الحياة تفيض على العناصر الممتزجة عن الأفلاك بإذن الله تعالى ومعطى  
الكمال ليس فاقدًا له ، بل كل حلية وزينة هاهنا من هناك .

والثانى : أن العناصر إذا تفاعلت بعد الامتزاج وانكسرت صورة كفيّاتها ، بل صورة صورتها  
قربت من عالم الوحدة والعدالة إذا حصلت فيه كفيّة واحدة بسيطة هى المزاج متشابهة فى  
كل أجزاء الممتزج بحيث إن الأجزاء المائية مشابهة للأجزاء النارية مثلا فى الكيفية .

وهذه الكيفية إن قلت : «إنها حرارة» صدقت ، وإن قلت : «إنها برودة» صدقت ، وكذا إن  
قلت : «إنها رطوبة ويبوسة» لكن لا بنحو التركيب بل بنحو البساطة .

ومثله الكلام فى الصورة المتوسطة ؛ لجواز الاشتداد فى الجوهر وليس هذا من باب  
خلع صور العناصر فى المركبات كما قال به السيد المدقق كما لا يخفى ، وعند ذلك

١ . قال سيد المدققين «مير صدر دشتكى» فى حواشى التجريد : «إن صور العناصر غير باقية فى المركبات» ، فراجع مجموعة  
الرسائل ، ص ٨٠٥ ، تعليقة المحقق الأشتباني فى ذيل قول الحكيم السبزواري .

تشبّهت بالفلك فى الوحدة والبساطة والعدل، حيث لا تضادّ وتفساد ولا شرّ ولا ضرر فيه، فتخلّعت بما تخلّع به، وهو خلعة الحياة؛ فإذا كان المتوسط بين الأضداد الشبّه بالخالى عن الأضداد حيّاً، فكيف لا يكون الخالى عنها نفسه حيّاً.



والثالث: أنّ الفلك كلّ روح بخارى وإن شئت قلت، روح دخانىّ وهو فى الإنسان الكبير الذى هو العالم بشرائره، كالرّوح البخارىّ الذى فى الحيوان وفيه هو منبع الحياة ومطيّة الحسّ والحركة وحياة جميع البدن به بحيث لو وقع سدة فى مجاريه لم يتمّ الحسّ والحركة. وحكماء الفرس يسمّون الرّوح البخارىّ الذى فى الحيوان النّاطق وغيره «روح روان». والأرواح البخاريّة ثلاثة: روح كبدىّ نباتيّ، وروح قلبىّ حيوانيّ، وروح دماغىّ نفسانيّ. والأوّل: منبعه الكبد ومجره الأوردة.

و الثانى: منبعه القلب الصّنوبريّ ومجره الشرايين.

والثالث: منبعه الدّماغ ومجره الأعصاب.

وقسط من هذا الرّوح فى تجاويف الدّماغ مرأى للصّور الباطنة من جميع المحسوسات الخمسة فى الخيال، وللمعاني الجزئيّة فى الوهم وللتركيبات المتخيّلة، كما قال بعض العرفاء: كوهى اندر پنه داني يافتم، داني كه چيست؟ بحرى اندر سرمه داني يافتم، داني كه چيست؟ وقال الشّيخ فريد الدّين:

چون دمی در گل دمد آدم کند  
وز کف و دودی همه عالم کند<sup>۱</sup>  
وكذلك هذا الرّوح الدخانىّ وهو السّماء للإنسان الكبير فيه جميع الصّور ومنه يفيض الصّور على العنصريّات.

وكما أنّ الرّوح البخارىّ الحيوانيّ والإنسانيّ مطايا القوى المدركة والمحرّكة كذلك الرّوح الدخانىّ الذى للإنسان الكبير منزل الملائكة كما نطق به ألسنة الشّرائع وقال عليه السلام: «أطّت السّماء وحقّ لها أن تتطّ ليس منها موضع قدم إلاّ عليه ملك راعع أو ساجد»<sup>۲</sup>. والحيّ هو الدّراك الفعّال وهو الذى فيه المدارك والمدركات والمحرّكات وقد علمت أنّ هذا الرّوح البخارىّ وذلك الرّوح الدخانىّ هكذا وبدنك الذى يقال له: إنّه حىّ لسراية الحىّ الذى هو الرّوح البخارىّ فيه.

۱. نقطة فى كتاب أسرار الحكم، ص ۲۱۶ من المولوى.

۲. منطق الطير، ص ۶، ش ۹۵.

۳. الدر المشور، ج ۵، ص ۲۹۳؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ۵، ص ۱۷۳؛ عوالى اللثالى، ج ۴، ص ۱۰۷، ح ۱۶۰.



وإذا عرفت هذه، عرفت معنى إطلاق الدخان على السماء في الكتاب الإلهي كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (فصلت (٤١): ١١) من أنه والله تعالى يعلم روح دخانٍ للعالم الذي هو إنسان كبير كما أن روحك البخاريّ والدخانيّ سماؤك .  
وإذا قيل: فيك شيء كالفلك وشيء كالملك وهكذا، أريد بشيء كالفلك هذا على بعض الوجوه. والوجه الأخرى،

منها: السماء التي في عقلك حيث حصلت حقيقتها بالبحث عنها أنها ما هي؟ وهل هي؟ ولم هي؟ وهي من السماوات العلى، التي لا تتغير ولا تتبدل، وهذه السماوات الطبيعية المتغيرة المحدودة بالنسبة إليها كحلقة في فلاة .  
ومنها: السماء التي في خيالك وحسبك المشترك ولا سيما إن كنت هيوياً؛ لأن الهيوياً وضعه مطابق للطبع .

وبالجملة، إن سميت الدخان الذي فيك سماء صدقت؛ لأنه مثلها في اللطافة والاعتدال؛ لأنه لطف من أوعيته و مزاجه الذي في لطائف الأخلاط معتدل متوسط، وعلمت أن المتوسط بين الأضداد كالحالي عنها .

وإن سميت السماء دخاناً صدقت وتأسيت بكلام الله، فنحن نراعي ظاهر كلام الله كما في مواضع أخرى ونقع في شقاق مع متفلسف ينكر كثيرا من الظواهر .

لكن لا نقول: إنه دخان العناصر؛ لأنه مركب ينحل في أسرع وقت حتى نجتمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾ (انباء (٢١): ٣٢) وقوله: ﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾ (نبأ (٧٨): ١٢) والفضل في الجمع بين الأوضاع العقلية والنقلية .

ولو أخذت وضعا قويا وطرحت وضعا متينا آخر لقليل لك: حفظت شيئا وغابت عنك أشياء .

الرابع: الأدلة النقلية كدعوات الاستهلاك وغيرها، وكلمات العرفاء المكاشفين مشحونة من ذلك، كقول بعضهم:

ملك اندر تن فلک جانست  
کمترند از بهایم و حشرات  
همه باجان و مهر و مه بیجان<sup>۱</sup>

از ملک نه فلک چو گردانست  
عرش و کرسی و جرمهای کرات  
خنفساء و مکس حمار قبان

۱. مجموعة الرسائل للحاج ملاهادي السبزواري، ص ٢٣٤، ٨٠٨ .

وأيضاً فيه :

صوفيان كبود پوش همه  
از غم دوست در خر و ش همه<sup>١</sup>

فإذا كانت حركات الأفلاك إرادية فلها أغراض وغايات ولا يجوز أن يكون لها أغراض شهوية أو غضبية؛ لأن الشهوة والغضب لجذب ملائم بدنيّ ودفع منافر بدنيّ وهما لا يسوغان على الفلك؛ لأنه تامّ الخلقة لا يتحلل منه شيء ليفتقر إلى بدل ما يتحلل .  
ولا مضادة هناك ليحتاج إلى دفع ولا حرارة وغيرها من الكيفيات الملموسات فيه حتى تثير الشهوة والغضب، فوجودهما فيه معطلّ والأغراض الحيوانية الحسية ليست إلا هذين الغرضين وما يرجع إليهما .

وليس مطلوب كلّ فلك فلك آخر تحته أو فوقه وإلا لكانت حركاتها مستقيمة، ولما انتهت أعدادها وليس مطلوبها دونها في عالم العناصر، إذ لا وقع له عندها .  
ومجموع عالم العناصر بالنسبة إلى السماوات بمنزلة حجر المئانة في الإنسان الصّغير والعالي لا يلتفت إلى السافل .

فمطلوب النفوس الفلكية أمور جليلة فوق النفسية والجسمية وهو العقول، فلها أنا فأنا شهود بعد شهود إياها، وتشبه بعد تشبه بها، ولكون كمالات العقول لانهاية لها كانت طلبات تلك النفوس وحركاتها غير متناهية ولا يمكن أن يكون المتشبه به المشوق إليه لها واجب الوجود بلا واسطة؛ لوحده وبساطته تعالى .

واختلاف الحركات الفلكية قدرا وجهة؛ لأن بعضها على توالي البروج، وبعضها على خلاف التوالي، وبعضها في السرعة بحيث يتمّ دورة في أربع وعشرين ساعة، وبعضها في البطؤ بحيث يتمّ دورة في خمسة وعشرين ألف سنة ومأتى سنة، وبعض آخر في ثلاثين سنة، وآخر في إثني عشر سنة، وبعض في سنة، وقس عليها .

والحركة طلب، واختلاف الطلبات والعشقات تحاكي عن اختلاف المعشوقات أولا وإن جاز اشتراكها ثانيا في المعشوق الحقيقي لا اشتراكها في الحركة الدورية .

وقد بينّا أنّ العقول الكلية من صقع الربوبية باقية ببقاء الله، حية بحياته وهي مشيئة وعلمه الفعليان وكلمته التامة ومصداق «من رأى فقد رأى الحق»<sup>٢</sup> .

١. اسرار الحكم، ص ٤٣؛ مجموعة الرسائل، ص ٨٠٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٣٥؛ صحيح البخاري، ج ٨، ص ٧٢، باب من رأى النبي في المنام؛ ونقل عنه في فتح الباري، ج ١٢، ص ٣٨٣.







كما قيل :

از وجود خود چونی گشتم تهی  
فانی از خویشم من و باقی بحق  
آرمیدم با حق و از خود رمید  
فمعشوقیتها متضمنة فی معشوقیة الله فإنها وجوهه ﴿وعنت الوجوه للحی القیوم﴾  
نیست از غیر خدایم آگهی  
شد لباس هستیم یکباره شق  
آن دمم بیرون که حق در من دمید  
(طه (۲۰): ۱۱۱) انتهى كلامه .

### [الأدلة النقلية على وجود العقول الكلية]

وأما الأدلة النقلية على وجود العقول الكلية فكثيرة؛

منها: قول النبي ﷺ «أول ما خلق الله العقل».<sup>۲</sup>

ومنها: ما في الغرر والدرر

سئل عليّ عليه السلام عن العالم العلوي؟ فقال: صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد، تجلّى لها فأشرقت، وطالعتها فتلاّأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّأها بالعلم والعمل فقد شابته جواهر أوائل عللها وإن اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك السبع الشداد.<sup>۳</sup>

ومنها: ما في حديث الأعرابي حين سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن النفس وإجابته عليه السلام بأقسامه الأربعة، إلى أن سأل عنه عليه السلام يا مولاي ما النفس اللاهوتية الملكوتية؟ فقال:

قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات أصلها العقل، منه بدأت وعنه دعت وإليه دلّت وأشارت، وعودها إليه إذا كملت وشابهت، ومنها بدأت الموجودات وإليها تعود. ثم قال السائل: ما العقل؟ قال عليه السلام: «جوهر درآك محيط بالأشياء من جميع جهاتها عارف بالشيء قبل كونه فهو علة للموجودات ونهاية المطالب».<sup>۴</sup>

نور الإنسان الكامل بالفعل له وجود جامع وله وحدة جمعية و وحدة حقّة ظلّية للوحدة الحقّة الحقيقية .

۱ . مجموعة الرسائل للحاج ملا هادي السبزواري، ص ۸۰۴-۸۱۰ .

۲ . من لا يحضره الفقيه، ج ۴، ص ۳۶۹، باب النوادر، ح ۵۷۶۲؛ عوالي اللئالي، ج ۴، ص ۹۹، ح ۱۴۱ .

۳ . غرر الحكم ودرر الكلم، ج ۴، ص ۲۱۸ .

۴ . مجموعة الرسائل، ص ۸۱۱؛ شرح الأسماء الحسنى، ج ۲، ص ۹۳ .



كيف مدّ الظلّ نقش اولياست  
سايه يزدان بود بنده خدا  
كو دليل نور خورشيد خداست  
مرده اين عالم و زنده خدا<sup>۱</sup>  
وهو هيكل التوحيد المشار إليه في حديث الحقيقة بقول علي عليه السلام «نور يشرق من صبح  
الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره»<sup>۲</sup> وهو المتعلم بجميع الأسماء بالفعل سواء فسّرت  
الأسماء في الآية الشريفة ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ (البقرة: ۲: ۳۱) بأسماء الله تعالى .  
وتعلم الإنسان الكامل تخلّقه بأخلاق الله بالفعل أو فسّرت بأسماء الموجودات كلّها  
وتعلمه إيداع وجوداتها وماهياتها في وجوده كما قال علي عليه السلام :

أترعم أنك جرم صغير  
وهو الحامل للخلافة الحرى بأن يكون بصفة المستخلف كما قال الله تعالى : ﴿إني  
جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ۲: ۳۰) وكما قال تعالى : ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في  
الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾ (ص: ۳۸: ۲۶).

وهو الحامل للأمانة التي كانت السماوات والأرض وما بينهما آية عن حملها مشفقة  
منها وهي الوجود المنبسط من الدرّة إلى الدرّة وهو الظلوم القاتل لنفسه الغير الواقف عند  
حدّ؛ إذ كل مرتبة تصل إليها يتجاوز عنها وكل حياة يحيى بها يموت عنها؛ أي تطوى في  
حياة تليها بنحو أشرف وأكمل إلى أن يفنى في الله ويبقى به .

پس عدم گردم عدم چون ارغنون  
گو یدم که إنا إليه راجعون<sup>۴</sup>  
و الجهول بنفسه وبغيره الذي لاخبر له عن غير الله لاستغراقه في شهود جمال الله  
وجلاله فيبدل كونه الناقص بالكون التام الذي قال علماء الأدب : إن كان التامة لاخبر  
لها وإن بقي له اسم .

اجزای وجود من همه دوست گرفت  
وقد ورد «على ممسوس في الله»<sup>۵</sup> فالإنسان نفس وبدن ففي بدنه كل الطبائع التي في  
الأجسام الجمادية والنباتية والحيوانية وغيرها وفيه من كل شيء أنموذج ولنفسه أربع مراتب

۱. کلیات المثنوی، ص ۱۳، س ۱۳ و ۱۱ و سؤال کردن خلیفه از لیلی و . . .

۲. شرح الأسماء الحسنی للسبزواری، ج ۱، ص ۳۸۵

۳. دیوان امام علی عليه السلام، ص ۲۳۶، الرقم ۱۵۸؛ تفسیر القرآن الکریم لصدر المتألّهین، ج ۴، ص ۳۹۱.

۴. راجع المثنوی، ص ۳۱۳، س ۲۲.

۵. بحار الأنوار، ج ۳۹، ص ۳۱۳، ح ۵.



بلسان أمير المؤمنين عليه السلام في حديث كميل قال :

سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين أريد أن تعرفني نفسي قال عليه السلام : يا كميل وأي الأنفس تريد أن أعرفك؟ قلت : يا مولاي هل هي الأنفس واحدة؟ قال عليه السلام : يا كميل إنما هي أربعة : التامية النباتية ، والحسية الحيوانية ، والناتقة القدسية ، والكلية الإلهية ، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان ؛ فالتامية النباتية لها خمس قوى : جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة ومربية ، ولها خاصيتان : الزيادة والتقصان ، وانبعائها من الكبد .

والحسية الحيوانية لها خمس قوى : سمع وبصر وشم وذوق ولمس ، ولها خاصيتان : الرضا [ الشهوة . ظ ] والغضب ، وانبعائها من القلب .

والناتقة القدسية لها خمس قوى : فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة ، وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنفوس الفلكية ، ولها خاصيتان : النزاهة والحكمة .

والكلية الإلهية لها خمس قوى : بهاء في فناء ، ونعيم في شقاء ، وعز في ذل ، وغنى في فقر ، وصبر في بلاء ، ولها خاصيتان : الرضا والتسليم .

وهذه التي مبدؤها من الله وإليه تعود . قال الله تعالى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ (الحجر ١٥ : ٢٩) وقوله : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة \* ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾ (الفجر ٨٩ : ٢٨-٢٧) والعقل وسط الكل<sup>٢</sup> .

ومثله ما في حديث الأعرابي عنه عليه السلام كما مرّ شطر منه وهو موضع الدلالة على العقل الكلّي ، وفي حديث كميل هذا أيضا لقوله عليه السلام «والعقل وسط الكلّ» دلالة على وجود العقل الكلّي . وذكر الحكماء<sup>٣</sup> للنفس الناطقة وهي إحدى مراتب الإنسان مرتبتين : إحداهما ، العقل العملي وهو الذي يصير بالفعل في الأكثر ، وثانيتهما ، العقل النظريّ وفعليته في أقلّ قليل من أفراد البشر . وذكروا لكلّ منها أربع مراتب بعدد الأبواب الثمانية للجنان الذي هو لازم شهود المعارف مطابقا لعدد أبواب جنة الأعمال وقد مرّ ذكر مراتب النظريّ .

وأما مراتب العملي ، فهي العقل المتعلّق بالتجلية والتخلية والتحلّية والفناء ؛ أي تهذيب الظاهر باستعمال أحكام النواميس ، وتهذيب الباطن باستعمال أحكام علم الأخلاق ،

١ . في البحار : وفقر في غناء

٢ . بحار الأنوار ، ج ٦١ ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، عن بعض كتب الصوفية .

٣ . كذا كان في مجموعة الرسائل للحكيم السبزواري .

والتجلى بالفضائل ثم الفناء بأن يرى كل فعل مستهلكا في فعل الله وكل علم مستهلكا في علمه كما قال تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ (البقرة: ٢٥٥) وكل مشيئة مستغرقة في مشيئته، كما قال: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ (الإنسان: ٧٦): ٣٠ وكل قدرة مضمحلة في قدرته، كما قال: ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ (البقرة: ٢٥٩).

وهكذا في جميع الصفات الكمالية، بل كل وجود و ذات ممحوقة تحت وجوده وعند سطوح نور ذاته.

والعرفاء الشامخون أيضا ذكروا مراتب الإنسان وجعلوه أجمع وأشمل حتى جعلوا البدن والقوى البدنية من مراتبه، كما قال الشيخ فريد الدين:

تن زجان نبود جدا عضوی از اوست  
جان زکل نبود جدا جزوی از اوست<sup>١</sup>  
وسمّوها باللطائف السبع، وهي الطبع والنفس والقلب والروح والسرّ والخفي والأخفي.  
فالطبع، طبائع أجسام البدن وأعضائه التي هي أوعية الروح البخاري، لكن لا مأخوذة فقط وبشرط لا، بل لا بشرط ومن حيث كونها مهابط أظلال إشراق القلب المعنوي.

والنفس عندهم المقابل للعقل هو الروح البخاري القابل لقوى الحس والحركة. وإن شئت قلت: هو القوى السارية فيه من الحسية والشهوية والغضبية من حيث هي مدركة للجزئيات الدائرة وشوقية إلى الغايات الوهمية، فيسمى هذا البخار اللطيف عند الطبيعيين والأطباء روحا وعند العرفاء نفسا؛ لاشتداد الشهوة والغضب بازدياده وتقوية المدارك الجزئية بتقويته.

والقلب عندهم، أي المعنوي لا الصنوبري، هو اللطيفة المجردة المدركة للكليات والجزئيات.

والروح عندهم أي الروح الأمرى هو اللطيفة المجردة المدركة للكليات وليس مرادهم بالكليات والجزئيات هو العلميات النظرية فقط؛ لكونهم معتنين بإصلاح العقل العملي أيضا، بل كثيرى المبالاة به بل الكليات والجزئيات من العلوم المتعلقة بكيفية العمل والحكمة العملية مع الأولى بشرائهما، مثل أن يزور العالم ويعود المريض جريا للعادة وإبقاء عادة لذيد، أو جلبا لمنفعة جزئية دنيوية، أو محضا لله، فالأول جزئي والثاني

١. منطق الطير، ص ١٠٥، الرقم ١٨٩٧، والشعر هكذا:

نیست تن ازجان جدا، جزوی از اوست  
نیست جان ازکل جدا، عضوی از اوست





كلّي، أو يصوم لنيل جزاء، أو للتخلّق بخلق صمد لا يطعم، أو وجود لغرض نفسانيّ أو للتخلّق بخلق قاضى الحاجات . وقس عليه .

بغض من لله وحبّ لله وبس  
زآن او باشم نباشم زآن كس<sup>١</sup>  
وإذا عرفت اللّطيفة القلبية المدركة للكليات والجزئيات ، عرفت اللّطيفة الروحية المدركة للكليات .

والحكيم قد لا يفرق بينهما ويسميهما بالنفس الناطقة ، وقد يفرق فيسمى العقل التفصيلي المدرك للكليات على التعاقب الزماني باعتبار التعلّق بالبدن قلبا ، والعقل البسيط الإجمالي الخلاق للمعقولات التفصيليّة روحا ، وقد سماه الله حكمة وذلك فصل الخطاب في قوله ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ (ص ٣٨ : ٢٠) والكتاب السماويّ الذي جاء به الرسول الختميّ قرآن وفرقان لهذين المقامين .

والتسمية بالقلب على الاصطلاحين وجهها واضح ؛ لأنّ القلب من الانقلاب ، ووقوع التبدّل والتقلّب في هذه اللّطيفة عليهما ظاهر وقد يمثّل النفس بالأمّ والقلب بالولد والروح بالأب . وأنّ القلب قد يميل إلى الأمّ وقد يميل إلى الأب إلى أن يلحق بأحدهما بالتوفيق من الله أو الخذلان .

وقد مثّل الله تعالى في آيتنا المشروحة القلب بالزجاجة والكوكب الدريّ ، والروح بالمصباح ، والنفس بالشجرة ، والبدن بالمشكوة ، وتوسطها في اللطافة باللاشرفيّة . واللاغربيّة .

هذه هي أربع من اللّطائف ، و الثلاث الأخرى هي الاتحاد بالعقل الفعّال ، ثمّ الترفّي إلى عين الجمع ، ثمّ إلى جمع الجمع .

والمراد من عين الجمع هو عالم الأسماء والصّفات والمرتبة الواحديّة ، ومن جمع الجمع هو الوجود الذي لا اسم له ولا رسم ، والمرتبة الأحديّة ، والمراد المحو والمحق في الواحديّة والأحديّة ، وقد عبّر عنهما في الكتاب الإلهيّ للحضرة الختميّة عن الأول بـ «قاب قوسين» وعن الثاني بـ «أو أدنى»<sup>٢</sup>

فتلخّص ممّا ذكرنا ، أنّ الإنسان الكامل آية كبرى لوجود بسيط الحقيقة الذي هو كلّ الكمالات والخيرات ، فهو وجود ظلّ الحقّ متراكم في كلّ القوى والمبادئ .

١ . مجموعة الرسائل للحكيم السبزواري ، ص ٨١٧ .

٢ . إشارة إلى سورة النجم (٥٣) : ٩ .



وقال الحكماء: «الحكمة صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني»<sup>١</sup> والإنسان نوع أخير كل الأنواع، لأنّ الفصل الأخير مشتمل على جميع فعليات الفصول السابقة؛ إذ الاستكمالات والتغيرات الطولية بوجدان التالى جميع الفعليات التى للمتلوات مع شىء زائد حيث إنّها لبس ثم لبس لا خلع ثم لبس، كما فى التغيرات العرضية من الانقلابات، كما ترى التّبات مشتملا على جميع فعليات المعادن والأمّهات بنحو أعلى، والحيوان الغير النّاطق مشتملا على كمالات النّبات وقواها بنحو اتمّ، والإنسان مشتملا على كمالات الحيوانات بنحو أرفع وأجمع، والإنسان الكامل مشتمل على الكلّ.

واعلم أنّ كلّ الصّور بالنسبة إلى الصّورة الأخيرة التى هى مأخذ الفصل الأخير بوجه وعينه بوجه موادّ مأخوذة بشرط لا، وكلّ الفصول بالنسبة إلى الفصل الأخير أجناس مأخوذة لا بشرط، فالكلّ كأعضائه أو مرآئيه ومخلوق من فضالة طينته، كما قيل:

جو آدم را فرستادیم بیرون جمال خویش بر صحرا نهادیم<sup>٢</sup>  
وفى الحديث القدسى «يا ابن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلى»<sup>٣</sup>  
ونعم ما قال الشيخ فريد الدين قده:

روز و شب این هفت پرگار ای پسر	از برای تست پرگار ای پسر
طاعت روحانیان از بهر تست	خلد و دوزخ عکس و لطف و قهر تست
قدسیان جمله سجودت کرده اند	جزو و کلّ غرق وجودت کرده اند
جسم تو جزوست و جانت کلّ کلّ	خویش را قاصر مبین از عین ذلّ
از حقارت سوى خود منکر بسی	زانکه ممکن نیست پیش از تو کسی
چون درآید وقت رفعتهاى کلّ	از برای تست خلعتهاى کلّ <sup>٤</sup>

و هذا الأخير إشارة إلى ما قلنا: إنّ جميع صور الكلّ وفصولها مشمول الإنسان ومخلوق من فضالة طينته،

ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد<sup>٥</sup>

١. مجموعة الرسائل، ص ٨١٨.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر السابق، وكذا ذكر فى حاشية كتاب علم اليقين، ص ٣٨١ عن مشارق أنوار اليقين، ص ٦٧.

٤. منطق الطير، ص ١٠٥، ش ١٨٩١-١٨٩٥ و ١٨٩٨ وفيه: «خويشتن را عاجز مكن درعين ذلّ» بدل «خویش را قاصر مبین از عین ذلّ»

٥. مجموعة الرسائل، ص ٨٢٠، وإلى هنا تمّ نقله ملخصاً من كلام الحكيم السبزواری.



## [تفسير آية النور وتأويلها]

وإذا أضانا قلوبنا بمعرفة الأنوار فلنشرع في بيان مطلعها ومشرقها وهو تفسير آية النور وتأويلها مستعينا بالنور الحقيقي تعالى شأنه واستمدادا من النبي الختمى ﷺ ومتذكرا باسمه العزيز «يا نور النور يا منور النور»<sup>١</sup>

فنقول: اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على وجوه ثلاثة:

الأول: الله هادي أهل السماوات والأرض إلى ما فيه مصالحهم عن ابن عباس<sup>٢</sup>.  
والثاني: الله منور السماوات والأرض بالشمس والقمر والنجوم عن الحسن وأبي العالية والضحاك<sup>٣</sup>.

والداعى إلى هذا التفسير<sup>٤</sup> إنما أنهم فهموا من النور النور العرضى الحسى وأنه تعالى منزّه عن الجوهرية فضلا عن العرضية فحملوا الآية على أن الله تعالى معطى ذلك النور العرضى للسماوات والأرض لا أنه تعالى عين ذلك النور.

فهذا الفهم فهم ظاهرى عامى، ومعلوم أنهم لم يرتقوا فهمهم من هذا النور الحسى إلى نور النفس والعقل فكيف إلى نور البارئ تعالى؟

وإنما أنهم فهموا من النور النور الحقيقى، وهو الظاهر بذاته المظهر لغيره، وهو حق حقيقة الوجود التى تنورت بها السماوات العلى التى هى ماهيات المجردات والأرضين السقلى التى هى ماهيات الماديات.

لكن يقولون: لو حملت الآية على هذا لزم وحدة الوجود، كما قال القائل بالوحدة «إن نور السماوات والأرض وجودهما».

وقد حمل على لفظ الجلالة ومفاد الحمل هو الاتحاد فى الوجود، وجعل النور بمعنى المنور وإن كان خلاف الأصل لكن وحدة الوجود عندهم باطلة فلا جرم دعاهم هذا على ارتكاب خلاف الأصل.

١. مفاتيح الجنان، دعا جوشن الكبير، الفصل ٤٨.

٢. مجمع البيان، ج ٤ (الجزء ٧)، ص ١٤٢.

٣. مجمع البيان، ج ٤، ص ١٤٢.

٤. شرح الأسماء الحسنى للحكيم السبزواري، ص ١٦٩-١٧٠ نقلها المصنف ملخصاً



أقول: إن القول الفحل والرأى الجزل إبقاء الآية على ظاهرها بلا وقوع في المحذور الذى توهموه من ظاهر الآية، وهو وحدة الوجود الممنوعة لا الوحدة الوجود المقبولة التى هى قرّة عين السالكين؛ لأن حقيقة الوجود واحد عند أهل التحقيق والعرفان ولكن لها مراتب مقولة بالشدة والضعف والعلة والمعلول، كما حَقَّق فى كتب صدر المتألهين فى مباحث الوجود. وعلى هذا التحقيق فاعلم أن للوجود مراتب ثلاث: الوجود الحق، والوجود المطلق، والوجود المقيد والوجود الحق هو الله، والوجود المطلق فعله، والمقيد أثره.

فَنور السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي نَفَذَ فِي أَقْطَارِهَا وَسَرَى فِي بَوَاطِنِ سَكَّانِ الْمَلَكُوتِ وَفِي أَعْمَاقِ قَطَّانِ النَّاسُوتِ، وَكَمَا تَشَعُّعُ بِهِ الدَّرَّةُ الْبَيْضَاءُ لَمْ يَشُدَّ عَنْ حَيْطَتِهِ دَرَّةَ الْهَبَاءِ، هُوَ الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ وَوَجْهَهُ الَّذِي أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي دَعَاءِ كَمِيلٍ «وَبِنُورٍ وَجْهَكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ»<sup>١</sup> وَظَلَّهُ الْمَمْدُودُ الْمَشَارَإِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (فرقان ٢٥): (٢٥) وهو النور المشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره المؤمى إليه فى حديث كميل. فالوجود الحق تعالى معطى النور الذى هو الوجود المطلق والوجود المنبسط للسماوات والأرض التى هى الوجودات المقيدة ومعطى الشىء ليس فاقدًا له فالله تعالى نور السماوات والأرض على هذا التقرير ولم نرتكب على خلاف الأصل. فافهم.

فإن قلت: إن تفسير ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ على منور السماوات والأرض مأثور من المعصوم عليه السلام ومنقول من أهل التفسير المقتبس من نوره فلو كان هذا المعنى صحيحًا لم يرتكب الإمام عليه السلام على خلاف الأصل وارتكابه عليه السلام دليل على عدم صحة ظاهر هذا المعنى. قلت: لعل منظور المعصوم عليه السلام من هذا التفسير وكذا منظور المحققين من أهل التفسير المقتبس من نوره عدم وقوف الناس على هذا النور الذى ذكرنا؛ لقصور فهمهم عن إدراكه، وعدم البلوغ إلى سعته، وعدم الوصول إلى أن وراء النور المتجلى فى المجالى والمظاهر نورًا مجردًا غنيًا عنها، ظاهرًا بذاته لذاته، مظهرًا للغير، وإن لم يكن الغير موجودًا كما فى قولهم عليه السلام «ربّ إذ لا مربوب»<sup>٢</sup> وقوله عليه السلام «له معنى الربوبية إذ لا مربوب»<sup>٣</sup> وكما فى قول الشيخ الرئيس فى العلم علو الأول تعالى ومجده بذاته لا بالصّور العلمية، فله معنى الإظهار للغير إذ لا غير.

١. مفاتيح الجنان، أوائل دعاء كميل.

٢. التوحيد، ص ٣٠٩.

٣. التوحيد، ص ٣٨؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٥٢؛ شرح الأسماء الحسنى، ص ١٦، ١٧٠.





ونقول: أيضا بناء على الرأى الجزل أن النور فى الآية تبقى على معناه مع الظاهر، مع حفظ تثلث المراتب بلا محذور؛ لأن قوام ذلك التور وتنويره دياجى الغسق بالنور المجرد؛ لأنه باق ببقائه لا بإبقائه، منزلته منه منزلة النسب والمعانى الحرفية من المعنى الاسمى؛ ولذا سمى بالإضافة الإشراقية، بل هذا حال بعض مجاليه كالأنوار القاهرة البادية المعدودة من صقع الربوبية، كما قال: بعض الأنوار العقلية فى السلسلة العروجية كنا حروفا عاليا لم نقل متعلقات فى ذرى أعلى القلل.

فنور نور السماوات والأرض، نورهما؛ كما أن الشعاع المنبسط من الشمس فى النهار نور العالم؛ كذلك ضوء القمر فى الليل نور العالم والشمس نور هذين التورين عند أهل التحقيق؛ لاستفادة القمر النور من الشمس ويقال عندهم: الشمس نور العالم فى النهار والليل؛ لأن نور نور الشئ من جانب البداية نور ذلك الشئ. ولكن لا يقال فى العرف: إن الشمس نور العالم فى الليل؛ لعدم اطلاع أهل العرف عليها وغفلتهم عن الشمس، فافهم<sup>١</sup>.

**والثالث:**

مزين السماوات بالملائكة ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء عن أبى ابن كعب، وإنما ورد النور فى صفة الله تعالى؛ لأن كل نفع وإحسان وإنعام منه، وهذا كما يقال: «فلان رحمة و فلان عذاب» إذا كثر فعل ذلك منه. وعلى هذا... قول أبى طالب فى مدح النبى ﷺ  
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
تطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل<sup>٢</sup>  
لم يعن بقوله ابيض بياض لونه وإنما أراد كثرة إفضاله وإحسانه ونفعه والاهتداء به، ولهذا سمّاه الله تعالى سراجا منيرا<sup>٣</sup>.

قال الإمام الغزالي فى شرح الاسم:

النور هو الظاهر الذى به كل ظهور، فإن الظاهر فى نفسه المظهر لغيره يسمّى نورا و مهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود ولا ظلام أظلم من العدم، فالبرىء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمّى نورا والوجود نور فائض على الأشياء كلّها من نور ذاته، فهو نور السماوات والأرض، فكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهى

١. إلى هنا تمّ كلام الحكيم السبزواري فى شرح الاسماء الحسنی.

٢. التوحيد للصدوق، ص ١٥٩.

٣. مجمع البيان، ج ٤، ص ١٤٢.

دالة على وجود الشمس النيرة فلا ذرة من وجود السماوات والأرض وما بينهما إلا وهي بجواز وجودها دالة على وجوب وجود موجدتها<sup>١</sup>.  
انتهى .

ويوافقه ما عن التأويلات النجمية حيث قال :

﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أي مظهرهما من العدم إلى الوجود فإن معنى النور في اللغة الضياء وهو الذي يبين الأشياء ويظهرها للإبصار<sup>٢</sup>.  
انتهى .

فقوله تعالى : ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ من باب التشبيه البليغ أي كالنور بالنسبة إليهما من حيث كونه مظهرًا لهما؛ أي موجدًا فإن أصل الظهور هو الظهور من العدم إلى الوجود، فإن الأعيان الثابتة في علم الله تعالى خفية في ظلم العدم وإنما تظهر بتأثير قدرة الله تعالى كما قيل .

أقول : لا حاجة إلى اعتبار التشبيه البليغ فإن النور من الأسماء الحسنى وإطلاقه على الله تعالى حقيقى لا مجازى، فهو بمعنى النور هاهنا فإنه تعالى نور الماهيات المعدومة بأنوار الوجود، وأظهرها من كتم العدم بفيض الجود، كما قال الرسول ﷺ :  
«إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره»<sup>٣</sup>

فخلق هنا بمعنى التقدير فإن التقدير سابق على الإيجاد ورش النور كناية عن إفاضة الوجود على الممكنات والممكن يوصف بالظلمة، فإنه يتنور بالوجود فتنويره اظهاره .

### [النور على أربعة أوجه]

واعلم أن النور [وإن كان ذا مراتب كما أشرنا إليه سابقا لكن نقول هاهنا] على أربعة أوجه :  
أولها : نور يظهر الأشياء للإبصار وهو لا يراها، كنور الشمس وأمثالها، فهو يظهر الأشياء المخفية في الظلمة ولا يراها .  
وثانيها : نور البصر وهو يظهر الأشياء للإبصار ولكنه يراها، وهذا النور أشرف من الأول .

١ . تفسير روح البيان، ج ٦، ص ١٥٢ .

٢ . نفس المصدر، ج ٦، ص ١٥٢ .

٣ . كذا في روح البيان، ج ٦، ص ١٥٢؛ وفي تفسير القرآن الكريم للحكيم صدر المتألهين، ج ٤، ص ٣٦٠، وفي حاشيته نقل عن الجامع الصغير، ج ١، ص ٧٠ مع تفاوت قليل .





وثالثها: نور العقل وهو يظهر الأشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهل للبصائر وهو يدركها ويراها .  
ورابعها: نور الحق وهو يظهر الأشياء المعدومة المخفية في العدم للإبصار والبصائر  
من الملك والملكوت والجبروت وهو يراها في الوجود كما كان يراها في العدم؛ لأنها كانت  
موجودة في علم الله وإن كانت معدومة في ذاتها فما تغير علم الله ورؤيته باظهارها في  
الوجود بل كان التغيير راجعا إلى ذوات الأشياء وصفاتها عند الإيجاد والتكوين، فتحقيق  
قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مظهرهما ومبدءهما وموجدتهما من العدم بكمال  
القدرة الأزلية .

ونعم ما قيل بالفارسيّة:

در ظلمت عدم همه بودیم بی خبر  
نور وجود سرّ شهود از تو یافتیم  
قال بعض الکبار: <sup>۱</sup>

در زمان ظلمت هیچ کس ساکن از متحرک نشناسد وعلو از سفلی تمیز نکند، و قبیح را  
از صبیح باز نداند، و چون رایت نور ظهور نمود خیل ظلام روی به انهزام آزند و  
وجودات و کیفیات ظاهر گردد، و صفو از کدر و عرض از جوهر متمیز شود، مدرکه  
انسانیت داند که استفاده این دانش و تمیز به نور کرده، اما در ادراک نور متحیر باشد  
چه داند که عالم از نور مملو است و او مخفی ظاهر به دلالات و باطن بالذات پس  
حق سبحانه تعالی که ما به او دولت ادراک یافته ایم و به مرتبه تمیز اشیاء رسیده سزاوار  
آن باشد که آن را نور گویند:

همه عالم بنور اوست  
پیدا کجا او گردد از عالم هویدا  
زهی نادان که او خورشید تابان  
بنور شمع جوید در بیابان<sup>۲</sup>  
وقال بعض أهل الكشف الشهير بأفتادة: «خطر ببالی علی وجه الكشف أنّ النور فی  
قوله تعالی: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بمعنی العلم وهو بمعنی العالم من باب  
زید عدل، ووجه المناسبة بينهما أنه تنكشف بالنور المحسوسات وبالعلم تنكشف  
المعقولات بل جميع الأمور. <sup>۳</sup>

انتهی .

۱. روح البیان، ج ۶، ص ۱۵۳ .

۲. مفاتیح الاعجاز فی شرح گلشن راز، ص ۷۱ و ۷۲۸ .

۳. روح البیان، ج ۶، ص ۱۵۲-۱۵۴، فانّ المنصف اقتبس المطالب والأمثلة ونقل الأقوال من أول قول الغزالی إلى هنا من  
روح البیان مع تصرف ما فی عباراته .

أقول: هذا الكشف ليس كشفاً حقيقياً؛ لأنه بظاهرة يدلّ على أن إطلاق النور على الله مجاز وقد حققنا أن إطلاق النور على الله حقيقى لا مجازى، فافهم إن كنت من أهل الكشف وإلا فقم وصل.

وقال بعض العرفاء وجهاً رابعاً مركباً من الوجه الثانى والثالث بقوله «إن الله منور السماوات بالشمس والقمر والنجوم والأرض بالأنبياء والعباد»<sup>١</sup> انتهى.

وهذا التنوير فى العالم الكبير والإنسان الأكبر؛ وأما التنوير فى العالم الصغير والإنسان الأصغر طبقاً للعالمين، كما قال رئيس الموحدين على ابن أبى طالب عليه السلام أنزعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر<sup>٢</sup>

فنقول: أراد الله تعالى بالسّماوات والأرض صورة إنسان الكامل المؤمن الموحّد رأسه السّماوات وبدنه الأرض وهو تعالى بجلالة قدره نور هذه السّماوات والأرض؛ إذ زين الرأس بنور السّمع، والبصر والشّم والدّوق والبيان فى اللّسان. فنور العين كنور الشّمس والقمر، ونور الأذن كنور الزّهرة والمشتري، ونور الأنف كنور المريخ وزحل، ونور اللّسان كنور العطار، وهذه، السيّارات النّيّرات تسرى فى بروج الرّأس وزين البدن بنور الأعضاء والجوارح والعضلات واللّحم والدّم، وعظامه الجبال، وشعره الأشجار، وبيان التّطبيق بين العالمين طويل والأختصار عند اهله جليل فافهم.

ونعم ما قال بعض العرفاء بالفارسيّة:

خدای را نور توان گفتم ولى روشنى نتوان گفتم چو روشنى ضدّ تاریكى است و  
خدای تعالى آفریدگار هر دو ضدّ است.<sup>٣</sup>

انتهى.

أقول: إذا كان الأمر كذلك فالنور الذى بمقابلة الظلمة حادث؛ لأنّ ما كان بمقابلة الحادث حادث فمعنى كونه تعالى نوراً هو أنّه مبدء هذا النور المقابل بالظلمة.

فإن قلت: ما السّر فى تخصيص إضافة النور إلى السّماوات والأرض مع أنّ الله تعالى نور لجميع الموجودات - مجرداً كان أو مادياً -؟

قلت: للدلالة على سعة إشراق نوره تعالى عند أهل الظاهر والحس؛ لأنّهم لا يعلمون

١. كشف الأسرار و عدة الأبرار، ج ٦، ص ٥٣٢.

٢. ديوان امام على عليه السلام، ص ٣٢٦، الرقم ١٥٨.

٣. روح البيان، ج ٦، ص ١٥٤.





ولا يفهمون سوى المحسوسات فإنّ السّمَاوات والأرض مثلان عند هؤلاء في السّعة، كما أنّه قال تعالى في تمثيل السّعة: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ٣: ١٣٣)؛ ويجوز أن يقال: قد يراد بالسّمَاوات والأرض ما سوى الله - سواء كان مجردًا أو ماديًا - كما يراد بالمهاجرين والأنصار جميع الصّحابة، ونظيره في تمثيل السّعة، قوله تعالى في الحديث القدسيّ خطابًا للنبيّ ﷺ: «الولاك لما خلقت الأفلاك» أي العوالم بأسرها لكنّه خصّص الأفلاك بالذكر لعظمتها عند أهل الظّاهر ولكونها بحيث يراها كلّ من هو من أهل النّظر وهو اللائح بالبال والله الهادي إلى حقيقة الحال .

﴿مثل نوره﴾ أي نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة وهو القرآن المبين، كما في الإرشاد،<sup>٢</sup> فهو تمثيل له في جلاء مدلوله وظهور ما تضمّنه من الهدى بالمشكاة المنعوتة، والمراد بالمثل الصّفة العجيبة، أي صفة نوره العجيب . وإضافته إلى ضميره تعالى دليل على أنّ إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره، كما في أنوار التّنزيل.<sup>٣</sup>

واعلم أنّ في قوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾ ذكرها وجوها:<sup>٤</sup>  
الأوّل: أنّ المعنى مثل نور الله الذي هدى به المؤمنون وهو الإيمان في قلوبهم عن أبيّ ابن كعب والضحاك .

والثاني: مثل نور الذي هو القرآن في القلب عن ابن عباس والحسن وزيد بن اسلم .  
والثالث: أنّه عنى بالنور محمّدًا ﷺ وأضافه إلى نفسه تشريفًا له عن كعب وسعيد بن جبير، فالمعنى مثل محمّد رسول الله ﷺ .

الرابع: أنّ نوره سبحانه الأدلّة الدالّة على توحيده وعدله التي هي في الظهور والوضوح مثل النور عن أبي مسلم .

والخامس: أنّ النور هنا الطاعة، أي مثل طاعة الله في قلب المؤمن عن ابن عباس في رواية أخرى .

﴿كمشكوة﴾ المشكاة هي الكوة في الحائط يوضع عليها زجاجة، ثمّ يكون المصباح

١ . بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٨، ح ٤٨، حكى عن كتاب الأنوار للشيخ أبي الحسن بن محمد في مناقب رسول الله و أمير المؤمنين ﷺ: «فأوحى الله عزّ وجل... ولولاها ما خلقت خلقي» .

٢ . روح البيان، ج ٦، ص ١٥٤ .

٣ . راجع نفس المصدر السابق، فهذا عين عبارته .

٤ . ذكر المصنّف هذه الوجوه بتامها عن مجمع البيان، ج ٤، ص ١٤٣ .

خلف تلك الزجاجية ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه . وقيل المشكاة عمود القنديل الذى فيه الفتيلة وهو مثل الكوة وقيل : «المشكاة القنديل»<sup>١</sup> .  
وبالفارسية ، مانند روزنه ای است در دیواری که او به خارج راه ندارد چون طاقچه بیخ بسته .



واعلم يا حبيبي - إن كنت من أهل السلوك والعرفان- أن العالم كمشكاة امتلأت نورا وضياء وحسنا وبهاء ، لا كمشكاة عالم الحس حيث إن لها حقيقة ومع كونها حقيقة هي غير حقيقة النور . فإن المشكاة للنور الحقيقي صنفان صنف هي القوابل التعلمية من الماهيات الإمكانية . وصنف هي القوابل الخارجية من المواد الجسمانية والماهية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ﴿النور (٢٤): ٣٩﴾ لا حقيقة لها ، بل متحدة مع الوجود الذى هو النور الحقيقى . والمادة أيضا متحدة بالصورة غير مبينة عنها فى الوضع وهكذا فى المادة الثانية والثالثة وغيرها لا حقيقة لها إلا بنحو الإبهام وتركيبها تركيب لا متحصل مع المتحصل وبلحاظ أخذهما بشرط لا ، وهو المناسب لجعلهما مشكاة تكونان من حقيقة النور ، فالعالم كمشكاة . والمراد من العالم ما سوى الله وما سواه هو الماهيات ؛ لأنها الممكنات المحضة ؛ لأن الماهية حيثية عدم الإباء عن الوجود والعدم لا الوجود ؛ لأن حيثية الإباء عن الوجود . وحيثية الوجود كاشفة عن الوجود فالمشكاة التى هي العالم شبيهة الماهية امتلأت بالنور الذى هو شبيهة الوجود الحقيقى ، فهى كظلمات مستهلكة فى النور والمشكاة التى هي المواد كأحطاب مشتعلة بنيران موقدة هي الفعليات أى نار الوادى الأيمن .

ونعم ما قيل :

موم و هيزم چون فداى نار شد      ذات ظلما نیشان انوار شد<sup>٢</sup>

وبعبارة أخرى ، أن المراد من المشكاة فى الآفاق والإنسان الكبير الهيولى الأولى ، وفى الأنفس والإنسان الصغیر العقل الهيولانى .

﴿فيها مصباح﴾ جملة فى موضع الجر بأنها صفة مشكاة . و«المصباح» السراج وقيل : المصباح الفتيلة وبالفارسية ، چراغ افروخته و نيك روشن .

﴿المصباح فى زجاجة﴾ جملة فى موضع رفع بأنها صفة مصباح والعائد منها إليه لام العهد تقديره ، فيها مصباح ذلك المصباح فى زجاجة أو هو فى زجاجة ؛ أى ذلك السراج

١ . نفس المصدر .

٢ . كلييات المتنوى ، ص ٤٣ ، س ٢٠ ، در بيان حديث من أراد أن يجلس مع أهل التصوف ، فيه : «ذات ظلما نى او انوار شد» .



فى زجاجة . وفائدة جعل المصباح فى زجاجة والزجاجة فى كوة غير نافذة شدة الإضاءة ؛ لأن المكان كلما تضايق كان أجمع للضوء بخلاف الواسع فإن الضوء ينتشر فيه . وفائدة اختصاص الزجاج بالذكر أنه أصفى الجواهر فالمصباح فيه أضوء .

﴿الزجاجة كأنها كوكب درى﴾ أى تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضىء الذى يشبه الدر فى صفائه و زهرته كالمشترى والزهره والمريخ . ودرارى الكواكب عظامها المشهورة . ومحل الجملة الخفض على أنها صفة لزجاجة ، واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل : فيها مصباح هو فى زجاجة هى كأنها كوكب درى ، وفى إعادة المصباح والزجاجة معرّين بعد سبقهما منكرين والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال : «كمشكاة فيها مصباح فى زجاجة كأنها كوكب درى» ما لا يخفى ، من تفخيم شأنهما بالتعريف بعد الإبهام .

﴿يوقد من شجرة﴾ أى يشتعل ذلك المصباح من دهن شجرة ﴿مباركة﴾ أى كثيرة المنافع ، لأن الزيت يسرج به وهو إدام ودهان ودباغ ، ويوقد بحطب الزيتون وبثفله وبرماده يغسل الأبريسم ولا يحتاج فى استخراج دهنه إلى إعصار ، وفيه زيادة الإشراق وقلة الدخان وهو مصححة من الباسور .

﴿زيتونة﴾ بدل من شجرة ، وقيل : خص الزيتون ، لأن دهنها أصفى وأضوء ، وقيل : لأنها أول شجرة نبتت فى الدنيا بعد الطوفان ، ومنبتها منزل الأنبياء ، وقيل ؛ لأنه بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام فلذلك سميت مباركة .<sup>١</sup>

قال فى كتاب إنسان العيون : «شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة» .

﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أى لا شرقية تطلع عليها الشمس فى وقت شروقها فقط ، ولا غربية تقع عليها الشمس حين غروبها فقط ، بل بحيث تقع عليها الشمس طول النهار ، فلا يسترها عن الشمس فى وقت من النهار شىء كالتى على قلة جبل أو صحراء ، فتكون ثمرتها أنضج وزيتها أصفى ، ولا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ، ولا فى مقناة تغيب عنها دائما فتركها نيئا ، ونابتة فى شرق المعمورة نحو كنكدز وديار الصين وختا ، ولا فى غربها نحو طبخه وطرابلس وديار قبروان ، بل فى وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون ، أو فى خط الإستواء بين المشرق والمغرب وهى قبة الأرض ، فلا توصف بأحد

منهما، فلا يصل إليها حرّ وبرد مضرّين . وقبة الأرض وسط الأرض عامرها وخرابها، وهو مكان تعتدل فيه الأزمان في الحرّ والبرد و يستوى الليل والنهار فيه أبدا لا يزيد أحدهما على الآخر أى يكون كلّ منهما اثنتى عشرة ساعة . وقيل : «معناه أنها ليست من شجرة الدنيا فتكون شريقيّة أو غربيّة، بل من أشجار الجنة» عن الحسن البصرى .<sup>١</sup>



﴿يكاد زيتها يضىء﴾ من صفائه وفرط ضيائه ﴿ولو لم تمسه نار﴾ واگر چه نرسیده باشد بوى آتش، يعنى درخشدگی بمثابه اى است كه بى آتش روشنائى بخشد، أسى هو فى الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضىء المكان بنفسه من غير مساس نار أصلا وتقدير الآية يكاد زيتها يضىء لو مسّته نار ولو لم تمسه نار، أى يضىء كائنا على كلّ حال من وجود الشرط وعدمه .

فالجمله، حالية جىء بها لاستقصاء الأحوال حتّى فى هذه الحال .  
﴿نور﴾ خبر مبتدأ محذوف، أى ذلك النور الذى عبّر به عن القرآن ومثّلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور كائن .

﴿على نور﴾ كذلك أى نور متضاعف، فإنّ نور المصباح زاد فى إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته، فليس عبارة عن مجموع نورين اثنين فقط، بل المراد به التّكثير، كما يقال : «فلان يضع درهما على درهم» لا يراد به الدرهمان فقط بل المراد تكثير الدرهم .

﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ أى يهدى الله لدينه وإيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفًا يختار عنده الإيمان إذا علم أنّ له لطفًا .

وقيل : معناه يهدى الله لنبوته وولايته من يشاء ممّن يعلم أنّه يصلح لذلك .<sup>٢</sup>  
وقيل :

معناه يهدى هداية خاصّة موصلة إلى المطلوب حتماً لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن من يشاء هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه، من دلائل حقيقته وكونه من عند الله من الإعجاز والإخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الإيمان وهذا من قبيل الهداية الخاصّة، ولذا قال تعالى : ﴿من يشاء﴾ ففيه إيدان بأنّ مناط هذه الهداية وملاكها ليس إلاّ مشيئة تعالى وأنّ تظاهر الأسباب بدون مشيئة تعالى فهو بمعزل من

١ . نفس المصدر .

٢ . نفس المصدر، ص ١٤٤ .



الإفضاء إلى المطالب .<sup>١</sup>

﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أي بيّنها تقريبا إلى الإفهام وتسهيلا لدرك المرام وهذا من قبيل الهداية العامة ، ولذا قال للناس : ﴿والله بكلّ شيءٍ عليم﴾ من ضرب الأمثال وغيره من دقائق المعقولات وغيرها .



### مصباح : في بيان الاختلاف بين المفسرين

وأعلم أنّ المفسرين اختلفوا في هذا المشبه والمشبّه به على أقوال :<sup>٢</sup>  
أحدها : أنّه مثل ضربه الله لنبيه محمد ﷺ ﴿فالمشكاة﴾ صدره و﴿الزجاجة﴾ قلبه و﴿المصباح﴾ فيه النبوة ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أي لا يهودية ولا نصرانية ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ يعني شجرة النبوة وهي إبراهيم ﷺ ﴿يكاد﴾ نور محمد ﷺ يبين للناس ولو يتكلّم به ، كما أنّ ذلك الزيت يكاد يضيء ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ أي تصبه النار عن كعب وجماعة من المفسرين .  
وقد قيل أيضا : إنّ «المشكاة» إبراهيم ﷺ و﴿الزجاجة﴾ اسماعيل ﷺ و﴿المصباح﴾ محمد ﷺ كما سمى سراجا في موضع آخر ﴿من شجرة مباركة﴾ يعني إبراهيم ﷺ ؛ لأنّ أكثر الأنبياء من صلبه ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ يعني لا نصرانية ولا يهودية ، لأنّ النصراني تصلّى إلى المشرق واليهود إلى المغرب ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ أي يكاد محاسن محمد ﷺ تظهر قبل أن يوحى إليه ﴿نور على نور﴾ أي نبي من نسل نبي ﷺ عن محمد بن كعب .  
وقيل : إنّ «المشكاة» عبد المطلب و﴿الزجاجة﴾ عبد الله و﴿المصباح﴾ هو النبي ﷺ ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ بل مكية ؛ لأنّ مكة وسط الدنيا عن الضحّاك .  
وروى عن الرضا ﷺ أنّه قال : «نحن المشكاة فيها المصباح محمد ﷺ يهدي الله لولايتنا من أحب» .

وفي كتاب التوحيد لأبي جعفر ابن بابويه القمي «ره» بالإسناد عن عيسى ابن راشد عن الباقر ﷺ في قوله تعالى : ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ قال :

نور العلم في صدر النبي ﷺ ﴿المصباح في زجاجة الزجاجة﴾ صدر علي ﷺ صار علم النبي ﷺ إلى صدر علي ﷺ ، علم النبي عليا ﷺ ﴿يوقد من شجر مباركة﴾ نور العلم

١. روح البيان ، ج ٦ ، ص ١٥٥-١٥٦ .

٢. مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ١٤٣ .



راجع نفس المصدر السابق فهذا عين عبارته . ﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾ لا نصرانية ولا يهودية . ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ﴾ قال : يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل ان يسأل ﴿ نور على نور ﴾ أى إمام مؤيد بنور العلم والحكمة فى إثر إمام من آل محمد ﷺ ؛ وذلك من لدن آدم ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاء فى أرضه ، وحججه على خلقه لا تخلو الأرض فى كل عصر من واحد منهم <sup>١</sup> .

وتحقيق هذه الجملة يقتضى أن الشجرة المباركة المذكورة فى الآية هى دوحه التقي والرصوان ، وعتره الهدى والإيمان ، شجرة أصلها النبوة ، وفرعها الإمامة ، وأوراقها التأويل ، وأغصانها التنزيل ، وخدمها جبرائيل وميكائيل .

وثانيها : أنه مثل ضربه الله للمؤمن . فالمراد من ﴿ المشكاة ﴾ نفسه . و ﴿ الزجاجة ﴾ صدره ﴿ والمصباح ﴾ الإيمان والقرآن فى قلبه ﴿ يوقد من شجرة مباركة ﴾ هى الإخلاص لله وحده لا شريك له ، فهى خضراء ناعمة كشجرة التفّ بها الشجر ، فلا يصيبها الشمس على أى حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت و كذلك المؤمن قد احترز من أن يصيبه شىء من الفتر فهو جامع بين أربع خصال : إن أعطى شكر ، وإن ابتلى صبر ، وإن حكم عدل ، وإن قال صدق ، فهو فى سائر الناس كالرجل الحى يمشى بين القبور ، و ﴿ نور على نور ﴾ يعنى عمله نور ، وكلامه نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ومصيره إلى الجنة نور يوم القيامة ، عن أبى ابن كعب .

وثالثها : أنه مثل ضرب الله للقرآن فى قلب المؤمن ، فكما أن هذا المصباح يستضاء فكذلك القرآن يهتدى به ويعمل به ﴿ فالمصباح ﴾ هو القرآن و ﴿ الزجاجة ﴾ قلب المؤمن و ﴿ المشكاة ﴾ لسانه وفمه ، و ﴿ الشجرة المباركة ﴾ شجرة الوحى ﴿ يكاد زيتها يضيء ﴾ يكاد حجج القرآن تتضح وإن لم تقرأ . وقيل : يكاد حجج الله على خلقه تضىء لمن تفكر فيها وتدبرها ، ولو لم ينزل القرآن ﴿ نور على نور ﴾ يعنى أن القرآن نور مع سائر الأدلة قبله ، فازدادوا به نورا على نور ، عن الحسن وابن زيد .

وعلى هذا فيجوز أن يكون المراد ترتب الأدلة ، فإن الدلائل يترتب بعضها على بعض ، ولا يكاد العاقل يستفيد منها إلا بمراعات الترتيب ، فمن ذهل عن الترتيب فقد ذهل عن طريق الاستفادة .

١ . التوحيد ، ص ١٥٨ ، مع تفاوت قليل فى ألفاظ لا يتغير المعنى .



وقال مجاهد: ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة.<sup>١</sup>

وقال بعض المفسرين بالفارسية:

مراد نور ايمان است، حق سبحانه وتعالى تشبيه كرد سينه مومن را به مشكاة، ودل را در سينه به قندیل زجاجة در مشكاة، وايمان را به چراغی افروخته در قندیل، وقندیل را به كوكبى درخشنده، وكلمه اخلاص را به شجرة مباركة از تاب آفتاب خوف و ضلال نوال رجا بهره دارد، و نزدیک است كه فیض كلمه بی آنكه به زبان مؤمن گذرد عالم را منور كند؛ چون اقرار به آن بر زبان جاری شد، و تصدیق جنان به آن باز گشته، نور علی نور به ظهور رسید.<sup>٢</sup>

وإنما شبه بالزجاج دون سائر الجواهرات لاختصاص الزجاج بالصفاء يتعدى النور من ظاهره إلى باطنه وبالعكس، وكذلك نور الإيمان يتعدى من قلب المؤمن إلى سائر الجوارح والأعضاء، وأيضاً أن الزجاج سريع الانكسار بأدنى آفة تصيبه فكذلك القلب سريع الفساد بأدنى آفة تدخل فيه. وكفته اند

آن نور معرفت اسرار الهی است؛ یعنی چراغ معرفت در زجاجة دل عارف و مشكاة سينه او افروخته است از برکت زيت تلقين شجرة مباركة حضرت محمدی ﷺ، نه شرقی است و نه غربی بلکه مكی است و مكه مباركة سره عالم است، و از فرا گرفتن عارف آن اسرار را از تعليم آن سيد ابرار نور علی نور معلوم توان كرد.<sup>٣</sup>

وإنما شبه المعرفة بالمصباح وهو سريع الانطفاء، وقلب المؤمن بالزجاج وهو سريع الانكسار، ولم يشبهها بالشمس التي لا تطفئ، ولا قلب المؤمن بالأشياء الصلبة التي لا تنكسر تنبئها على أنه على خطر وجدير أن يحذر، كما في التيسير.<sup>٤</sup>

و در روح الأرواح آورده كه:

«آن نور» حضرت محمدی است ﷺ، مشكاة آدم ﷺ باشد، و«زجاجة» نوح ﷺ، و«زيتون» ابراهيم ﷺ<sup>٥</sup> كه نه يهوديت را مایل است؛ چون يهود غرب را قبله ساخته اند،

١. اعلم أن الأقوال في هذا المصباح من أوله؛ أي أن المفسرين اختلفوا في هذا المشبه و المشبه به على أقوال... إلى هنا كلها منقولة عن مجمع البيان، ج ٤، ص ١٤٣ و ١٤٤.

٢. منهج الصادقين، ج ٦، ص ٣١٥.

٣. منهج الصادقين، ج ٦، ص ٣١٧؛ روح البيان، ج ٦، ص ١٥٦.

٤. روح البيان، ج ٦، ص ١٥٦.

٥. روح الأرواح، ص ٥٢٤ و ٥٢٥؛ وعنه في روح البيان، ج ٦، ص ١٥٦.

و نه نصرانیّت را معتقد؛ چون نصاری روی به شرق آورده اند و «مصباح» حضرت رسالت ﷺ است، «یا مشکاة» ابراهیم است، و «زجاجة» دل صافی مطهر او، و «مصباح» علم کامل او، و «شجره مبارکه» خلق شامل او، که نه در جانب افراط است و نه در طرف تفریط بلکه طریق اعتدال که خیر الأمور اوسطها واقع شده، و صراط سوی عبارت از آن است».

و در عین المعانی فرموده که: «نور» محبت حبیب با نور خلّت خلیل «نور علی نور» است».

ونعم ما قیل:

پدر نور و پسر نور است مشهور از اینجا فهم کن نور علی نور



### مصباح: فی فهم القرآن وتفسیره بالرأی

اعلم أنه قد غلب علی طبائع أكثر الناس أن لا معنى للقرآن إلا ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين ومنشأ حصرهم التجاوز عن الظاهر المشهور أمور كثيرة أظهرها أمران: أحدهما: غلبة أحكام الظاهر عليهم وقصور أفهامهم عن درک بواطن القرآن وأسرار الآيات، فلحقهم عند سماع معانی التأويل ما لحق عيون الخفافيش عند سطوع أنوار الشمس عليها.

والثاني: الحديث المشهور حيث لم يفهموا المراد منه وما معنى التفسير بالرأى الذى يوجب القعود فى النار، ولو تفتنوا قليلا تعلموا أن ما اعتقدوه من أن كل من فسّر القرآن على غير ما سمعه بالتقل لكان كافرا، لو كان صحيحا فما معنى فهم القرآن سوى المنقولات، وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار»<sup>١</sup>. فاعلم أن مثل هؤلاء، الساكنين فى عالم الحس والمحسوس، المقتصرين على المقروع، إذا زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما يترجمه ظاهر التفسير، فهو مخبر عن حد نفسه مصيب فى ذلك، ولكن أخطأ فى رد كافة الناس إلى درجة فهمه التى هى موطنه ومقره. وكيف كان حال المسافر بل الطائر كحال الساكن والأخبار تدل على أن ميدان معانى القرآن وسيع

١. المحجة البيضاء، ج ٢، ص ٢٥٠؛ إحياء العلوم، ج ١، ص ٢٨٩؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٧٠، المقدمة الخامسة؛ وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٥٠، كتاب القضاء، الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي، ح ٧٦؛ بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١١١، ح ٢٠، هكذا لفظه: «من قال فى القرآن غير علم فليتبوء مقعده من النار»؛ عوالمى اللئالى، ج ١، ص ١٧٤، ح ٢٠٧.



لسباحة أهل الفهم . فضائها واسع لطيران أصحاب الشوق والوجدان .  
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما في القرآن» . فإن لم يكن  
للقرآن معنى سوى حفظ الترجمة المنقولة فما معنى الفهم .  
وقال عليه السلام : «إن للقرآن ظهرا وبطنا وحداً ومطلعا» ، أوفى رواية إلى سبعة أبطن .<sup>٣</sup> فما معنى ذلك؟  
وقال عليه السلام : «لو شئت لأوفرت سبعين بعيرا في تفسير فاتحة الكتاب» .<sup>٤</sup>  
وفي رواية من تفسير الفاتحة «وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار» .<sup>٥</sup>  
وقال بعض العلماء : «لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر» .<sup>٦</sup>  
وقال آخر : القرآن يحوى خمسة وسبعين ألف علم و مائتى علم ؛ إذ لكل كلمة  
علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، فيكون الحاصل بعد التضعيف ثلاثمائة ألف علم  
علم وثمانمائة علم ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحدّ ومطلع» .<sup>٧</sup>  
وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيه وإلا ترجمته  
وتفسير ظاهره لا يحتاج مثله صلى الله عليه وسلم إلى تكريره .  
والحاصل أن العلوم كلها داخله في ذات الله وأفعال الله وصفاته ، وفي القرآن شرح ذاته  
وصفاته وأفعاله ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفي القرآن ، ذكر مجامعها والتعمق في تفصيل  
مقاماتها راجع إلى الفهم والاستنباط ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك .  
ولذا قال صلى الله عليه وسلم «اقرأوا القرآن واتمسوا غرائبه»<sup>٨</sup>  
وعن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب  
الله تعالى ولكن لا تبلغه عقول الرجال» .<sup>٩</sup>

١ . إحياء العلوم ، ج ١ ، ص ٢٨٣ و ٢٨٩ ؛ المحجة البيضاء ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ و ٢٥٠ .

٢ . تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ٦٦ ، المقدمة الرابعة ؛ إحياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

٣ . عوالي اللئالي ، ج ٤ ، ص ١٠٧ ، ح ١٥٩ ؛ تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ٩٧ .

٤ . هذه الرواية و الروايات الثلاث السابقة كلها في المحجة البيضاء ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

٥ . نفس المصدر .

٦ . المصدر السابق ولكن فيه وفي إحياء العلوم «سبعة وسبعين الف علم...» بدل «خمسة وسبعين الف علم...»

٧ . إحياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٢٨٩ ؛ المحجة البيضاء ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

٨ . إحياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٢٨٩ ؛ المحجة البيضاء ج ٢ ، ص ٢٥١ ؛ بحار الأنوار ، ج ٨٩ ، ص ١٠٦ ، «اعربوا» بدل «اقرأوا»

فراجع .

٩ . الكافي ، ج ١ ، ص ٦٠ ، باب الرد إلى الكتاب و السنة ، ح ٦ ؛ تفسير الصافي ج ١ ، ص ٩٤ .

فهذه الأمور تدلّ على أنّ فهم معانى القرآن مجال رحب، ومتّسع بالغ، فإنّ المنقول من ظاهر التفسير ليس ما ينتهى الإدراك فيه.

### مصباح: فى بيان آداب التأمّل للقرآن

اعلم يا حبيبى أنّها عشرة:

الأول: فهم عظمة الكلام بأنّه لولا استتر كنهه جمال كلامه بكسوة الحروف والألفاظ لما ثبت لسماع كلامه عرش ولا فرش، ولولا أنّ ثبت الله تعالى موسى ﷺ لما طاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادئ تجليّه حيث كان دكّا دكّا. والمراد من الكلام برهان الموحّدين على ابن أبى طالب، كما قال ﷺ: «نحن كلام الله الناطق»<sup>١</sup>.

الثانى: تطهير القلب عن خبائث المعاصى وأرجاس العقائد الفاسدة. قال الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٥٦: ٧٩) وكما لا يصلح لمس نقوش الكتاب كل يد بلا ظهور كذلك لا يصلح لنيل معانيه كل قلب إلا القلوب الصّافية ولا يصل إليها إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ (الشعراء: ٢٦: ٨٩) ولا يمتد إليها إلا أيدى النفوس الزكيّة الذكيّة.

الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس.

الرابع: التدبّر وهو غير حضور القلب؛ إذ ربّ وقت لا يشتغل الإنسان قلبه بغير القرآن ولكن يقتصر على سماع القرآن من غير تدبّر، والمقصود الأصلى فيه هو التدبّر وهو روح كلّ عبادة.

عن أمير المؤمنين ﷺ: «لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبّر فيها»<sup>٢</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ «ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها»<sup>٣</sup>.

١. بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ١٩٩، وفيه «أنا كلام الله الناطق» وإن كان فى المحجّة البيضاء، ج ٢، ص ٢٣٤، «نحن...» كما فى المتن.

٢. الكافى، ج ١، ص ٣٦، كتاب فضل العلم، باب صفة العلماء، ح ٣. فإنّ فيه «... ألا لاخير فى قراءة ليس فيها تدبّر؛ ألا لاخير فى عبادة ليس فيها تفكّر، وفى رواية أخرى: ألا لاخير فى علم ليس فيه تفهّم، ألا لاخير فى قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لاخير فى عبادة لا فقه فيها، ألا لاخير فى نسك لا ورع فيه» وراجع أيضاً وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٢٩، الباب الثالث من أبواب قراءة القرآن، ح ٣؛ عوالمى اللثالى، ج ٤، ص ١١٢، ح ١٧٣.

٣. البقرة (٢): ١٦٤؛ آل عمران (٣): ١٩٠، ولم يوجد الرواية بهذه الالفاظ ولكن فى ذيل الآية فى سورة آل عمران فى تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٤٢٢، قال «قد اشتهرت الرواية عن النبى أنّه لما نزلت هذه الآيات قال: ويل لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمّل ما فيها».





الخامس: الاستنباط وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها؛ إذ ما من علم إلا وفي القرآن أصله وفرعه ومبدأه ومنتهاه .

السادس: التخلّي من موانع الفهم وهو غير تطهير القلب عن المعاصي . فلفهم معانى القرآن موانع غير ما ذكر؛ إذ القلب لإدراك حقائق الأشياء بمنزلة المرأة لانشباح صورها المرئية، كما أنّ حجب المرأة بعضها داخلية، كعدم الصّقاله، وبعضها خارجي، كوجود الحائل، فكذلك حجب القلب عن الفهم بعضها فى داخله، وبعضها فى خارجه .

أمّا الحجاب الداخلى، فبعضها من باب الأعدام، كالطّفولية والجهل البسيط، وبعضها وجودية، كالمعاصي . فمن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو حسد، فيمتنع جلية الحق من أن يتجلى فيه، فإن ذلك ظلمة القلب وبه حجب الأكثرون .

وأمّا الحجاب الخارجى، فكذلك بعضها عدمية، كعدم التّفكّر، وبعضها وجودية، كوجود الاعتقادات العامية التقليديّة، أو الجهليات الفلسفية . وهذه الحجب الوجودية ممّا استدّلها الشيطان على قلوب بنى آدم، كما قال رسول الله ﷺ «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت» .<sup>١</sup> ومعانى القرآن من الملكوت؛ لأن ما لا يدرك إلا بنور البصيرة فهو من عالم الملكوت، وهذه الحجب أربعة .

الحجاب الأول: أن يكون الإنسان مصروف الهمم إلى تحقيق الحروف وإخراجها من المخارج فى الصلّاة وغيرها .

الحجاب الثانى: التقليد لمذهب سمعوه من الشيوخ وثبت فى نفسه التّعصب له بمجرد الاتّباع لمن وقع منه الاستماع من غير وصول إليه ببصيرة، فهذا شخص قد قيده معتقده، فصار نظره موقوفاً على مسموعه لا يمكنه أن يتجاوز عن مقامه، فان لمع برق عن بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة، وقال: «كيف تخاف معتقد آبائك؟» فيزعم أنّ ذلك غرور من الشيطان، فيتباعد منه، ويحترز عن مثله . ولمثل هذا قالت المتصوفة: «إنّ العلم حجاب» .<sup>٢</sup> وهذا القول إن صدر عن محققيهم، فالمراد بالعلم العقائد التى استمرّ عليها أكثر الناس بمجرد التقليد، أو بمجرد كلمات جدلية حرّرها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم .

١ . المحجّة البيضاء، ج ٢، ص ٢٤١؛ إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٤؛ التفسير الكبير، ج ١، ص ٨٣؛ بحار الأنوار، ج ٦٢، ص ٣٣٢ .

٢ . إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٢؛ المحجّة البيضاء، ج ٢، ص ٢٤١ .

وأما العلم الحقيقيّ، الصّادر من معدن العلم والحكمة، الحاصل بالكشف والمشاهدة بنور البرهان، فكيف يكون حجاباً وهو عين المقصد ومنتهى المطلب .

**الحجاب الثالث:** أن يكون مستغرقاً بعلم العربيّة ودقائق الألفاظ مصروف العمر العزيز في تحقيقاتها، فإنّ المقصود الأصليّ من إنزال القرآن ليس إلاّ سياقة الخلق إلى جوار الله، بتكميل ذواتهم، وتنوير قلوبهم بنور معرفة الله وآياته، دون صرف الأوقات في نحو الكلام وتحسين الألفاظ، وعلم البلاغة، وفنّ البديع، فإنّ ذلك من التّوابع التي بها يقع الاحتجاج على المنكرين .

وأما الاستبصار لمعاني القرآن فيكفي لها دون ما بلغ إليه الزمخشري وأترابه وبدلوا غاية سعيهم، فلا جرم جحدوا المعاني الأصليّة وحرّموا عن جدوى الكلام .

**الحجاب الرابع:** الجمود والوقوف على قراءة من التفاسير، وأنّ يعتقد أن لا معنى لكلمات القرآن إلاّ ما يتناوله على التّقل عن ابن عبّاس وقتادة ومجاهد وغيرهم، وأنّ ما وراء ذلك تفسير بالرأى، وأنّ من تجاوز عن التّقل منهم فورد عليه مفاد «من فسّر القرآن برأيه فقد كفر»<sup>١</sup> . فهذا أيضاً من الحجب العظيمة التي أوقعتها الشيطان ليصرف قلوب الكثيرين عن فهم معاني التّأويل وسيأتي إن شاء الله إزالة هذا الحجاب ببيان معنى المراد من التفسير بالرأى وأنّ ما فهموا يناقض قول أمير المؤمنين «إلاّ أن يؤتى العبد فهما في القرآن»<sup>٢</sup> وأنه لو كان المعنى مقصوراً على الظاهر المنقول لما وقع فيه الاختلاف بين الناس .

**السابع:** التّخصيص وهو أن يقدر العبد أنّه هو المقصود بكلّ خطاب، فإذا سمع في القرآن أمراً أو نهياً قدّر أنّ الخطاب معه، فليعمل بمؤداه، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء ﷺ، فليدعن أنّ القصة غير مقصودة، بل الاعتبار، فليعتبر كيف لا يقدر هذا والقرآن ما نزل على الرّسول ﷺ، بل شفاء وهدى للعالمين، ولهذا أمر الله تعالى الكافة بشكر هذه النعمة العميمة، فقال الله تعالى: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله﴾ (البقرة: ٢) : (٢٣١) .

**الثامن:** التّأثر والوجد، وهو أن يتأثر باطنه ويتنور قلبه بأنوار الكلام، ويتفنّن أحواله بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم وجد وحال من الحزن والخوف والخشية

١ . تفسير العياشي، ج ١، ص ١٨، ح ٦، وفيه من فسّر [برأيه] آية من كتاب الله فقد كفر» ونقل عنه في بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١١١، ح ١٤؛ الكافي، ج ٢، ص ٦٣٢، باب النوادر، ح ١٧، «ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلّا كفر»  
٢ . إحياء العلوم، ج ١، ص ٢٨٣ و٢٨٩؛ المحجة البيضاء؛ ج ٢، ص ٢٣٩ و٢٥٠ .







والفرح والرجاء . فإنّ الوجد مغناطيس القرب من عالم التّوحيد والملكوت ، وتأثّر العبد بالتلاوة والتدبّر هو أن يتّصف قلبه بصفة الآية ويتخلّق بها ، فعند تلاوة آية الوعيد يتضأل من خيفته كأنّه يكاد يموت ، وعند تلاوة آية المغفرة يستبشر كأنّه يطير من الفرح ، وعند ذكر صفات الله تعالى وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله وعظمته ، وعند ذكر الكفّار ما يستحيل عليه يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم ، وعند ذكر الجنّة ينبعث من باطنه شوقاً إليها ، وعند ذكر النّار يرتعد فرائصه خوفاً منها ، فإن لم يكن بهذه الصّفات ولم يتردّد بين هذه الحالات كان حظّه من تلاوة القرآن حركة اللسان مع صريح اللّعن على نفسه في قوله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظّالمين ﴾ (هود: ١١) : ١٨ .

التاسع: الترقى وهو أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله لا من نفسه ، والغرض ها هنا الإشارة إلى درجات القراءة وهي ثلاث .

أدناها: أن يقدّر العبد كأنّه يقرء على الله واقفاً بين يدي الله وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير ، السّؤال والتّملق والتضرع والابتهاال .

الثانية: أن يشهد بقلبه كأنّ ربّه يخاطبه بالطفاه ويناغيه بأنعامه فمقامه الحياء و التعظيم والفهم .

الثالثة: أن يرى في الكلام المتكلّم وفي الكلمات الصّفات ، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى تعلق الإنعام به ، من حيث إنّه منعم عليه ، بل يكون مقصور الهمّ على المتكلّم موقوف الفكر عليه ، كأنّه مستغرقة بمشاهدة المتكلّم عن غيره . وهذه درجة المقرّبين ، وما قبله فهو درجات أصحاب اليمين ، وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين . وعن الدرّجات الثلاثة أخبر الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فقال : «والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون»<sup>١</sup> .

وقد سألوه عن حالة لحقته في الصّلاة حتّى خرّ مغشياً عليه فلمّا برء عنه قيل له في ذلك فقال عليه السلام : «ما زلت أردّد هذه الآية حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته»<sup>٢</sup> .

العاشر: التبرى ، والمراد منه أن تبرأ من حوله وقوّته والالتفات إلى نفسه بعين الرّصا

١ . بحار الأنوار ، ج ٨٩ ، ص ١٠٧ ؛ تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ١١٠ ؛ المحجة البيضاء ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .  
٢ . المحجة البيضاء ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ؛ ونقله عن مصباح الشريعة في المقدمة الحادية عشرة من تفسير الصافي ، ج ١ ، ص ١١٠ .

والتزكية، فإذا تلى آيات الوعد و المدح للصالحين فلا يشهد لنفسه عند ذلك، بل للموقنين والمحسنين، ويتشوق أن يلحق الله بهم، وإذا تلا آيات المقت والذم للعصاة شهد نفسه هناك، وقدر نفسه المخاطب خوفاً.



### كشفٌ وتحقيقٌ: [في معنى «من فسّر القرآن برأيه»]

اعلم يا حبيبي أنّ معنى قوله ﷺ «من فسّر القرآن برأيه»<sup>١</sup> إلى آخره لا يخلو إما أن يكون المراد منه ترك الاستنباط والاستقلال بالفهم، والاقتصار على ظاهر المنقول، أو أمر آخر. والأول باطل لوجوه:

منها: ما ذكر سابقاً.

ومنها: أنه لو كان ذلك مشروطاً بالسمع عن النبي ﷺ للزم أن يكون أكثر ما نقلوا عن ابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم من عند أنفسهم، فينبغي أن لا يقبل؛ لكونه تفسيراً بالرأى، وكذا غيرهم من الصحابة والتابعين؛ وذلك لأن أقوالهم في الأكثر متخالفة متعارضة وأن المسموع من رسول الله ﷺ لا يصارف إلا في بعض القرآن، والنقل شهادة، والآحاد لا يفيد، والتواتر عزيز، فإن وجد فاللفظ يحتمل معان كثيرة؛ لأن التصوص عزيزة، وربما يعارض النصّ بنصّ آخر ولم يصل إليهم، ولذلك وقع الاختلاف.

ومنها: أن الصحابة اختلفوا في تفسير بعض الآيات إلى أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينهما، وسماع الجميع منه ﷺ محال، فكيف يكون الكل مسموعاً.

ومنها: أنه ﷺ دعا لأمر المؤمنين ﷺ أو لابن عباس على اختلاف النقل: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»<sup>٢</sup> فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل، فما معنى تخصيصه بذلك.

ومنها: أنه قال تعالى: ﴿لعلّهم الذين يستنبطونه منهم﴾ (النساء: ٤: ٨٣) ومعلوم أن المراد فهم ما وراء السماع، فجاز لكل أحد أن يستنبط من القرآن بقدر قوة فهمه، وغرابة علمه، بل نقول قوله ﷺ «من ابتغى العلم في غيره [أى القرآن] أضله الله»<sup>٣</sup> يعمّ تقليد الناس أيضاً والاعتماد على أقوال لهم من غير بصيرة لمن استطاع إلى كلام الله سبيلاً، وهذا بعينه

١. تقدم ذكر الحديث في أوائل هذا المبحث (مصباح في فهم القرآن وتفسير بالرأى) فراجع.

٢. راجع بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٩٢؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ٢، ص ٤، المحجة البيضاء، ج ٢، ص ٢٥٣ و ٢٥٤.

٣. تفسير العياشى، ج ١، ص ٦؛ بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢٧، ح ٣٠٩.



سبيل المؤمنين ﴿الذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ قائلين ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾ (التحریم) (٦٦: ٨) وأما التّهيّ الوارد في ذلك الحديث فيحمل على أحد الوجهين :  
الأول : أن يكون له في الشّيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه ، فيكون قد فسّر برأيه ، أى رأيه حمّله على هذا التّفسير ، ولو لا رأيه لما ترجّح عند ذلك .  
الوجه الثّانى : أن يتسارع إلى تفسير القرآن بمجرد العربيّة من غير استظهار بالسّماع والنّقل فيما يتعلّق بغرائبه ، وما فيه من الألفاظ المبهمة وما فيه من الحذف والإظمار والتّقديم والتّأخير والاختصار ، فالنّقل والسّماع لا بدّله في ظاهر التّفسير أو لا ليتقى مواضع الغلط والاشتباه .  
ثمّ بعد ذلك يتّسع الفهم والاستنباط ، فمن لم يحكم ظاهر التّفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربيّة ، كثر غلظه ، ودخل في زمرة من فسّر بالرأى ،<sup>١</sup> وأكثر المفسّرين غير العرفاء منهم في هذه الخطر .  
وأما العارف الرّبانى ، فمأمون من الغلط ، معصوم من معاصى القلب ؛ إذ كلّ ما يقوله حقّ وصدق حدثه قلبه عن ربّه ، وقد مرّ أنّ الفهم لا ينفكّ عن الكلام الوارد القلبيّ .

### مصباح فيما يجب أن يعلم

أعلم أنّ لأصحاب المسالك التّفسيّريّة أربع مقامات :  
[فلما المقام الأوّل] : فمن مسرف في رفع الظواهر كأكثر المعتزلة والمتفلسفة ، حيث انتهى أمرهم إلى تغيير جميع الظواهر في الخطابات الواردة في الكتاب والسنة إلى غير معانيها الحقيقيّة ، كالحساب والميزان والصراط والكتاب ومناظر أهل الجنة وأهل النار في قول هؤلاء ﴿أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله﴾ وقول هؤلاء ﴿إنّ الله حرّمهما على الكافرين﴾<sup>٢</sup> وزعموا أنّ ذلك لسان الحال .  
وممّا يدلّ على أنّ أسرار التّأويل والتّنزيل والإنزال أجلّ مقالاً وأعظم منالاً من أن يناله بقوة التّفكّر أهل الاعتزال - كالزّمخشريّ والقفال وغيرهما من آحاد المتكلّمين والمتفلسفين

١ . وليعلم أنّ المؤلّف نقل مطالب هذا المصباح والمصباح الذى قبله (مصباح في فهم القرآن...) من أول «أعلم أنّ مثل هؤلاء ... إذا زعم أن لا معنى...» إلى هنا من كتاب المحجة البيضاء ، ج ٢ ، ص ٢٣٤-٢٥٥ كتاب آداب تلاوة القرآن ، الباب الثالث والرابع ، مع تلخيص وتصرف مله بتقديم وتأخير أو تغيير- في بعض عبائه  
٢ . الأعراف (٧) : ٥٠ . وتام الآية هكذا : ﴿نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله قالوا إنّ الله حرّمهما على الكافرين﴾

- ما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله»<sup>١</sup>.  
وفي رواية عنه عليه السلام قال: «الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة المعصومون من بعده عليه السلام»<sup>٢</sup>.

وعن أبي بصير قال: «سمعت أبا جعفر محمدًا عليه السلام في هذه ﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ فأومى بيده إلى صدره»؛ إذ قد علم أنّ فهم رموز القرآن وأسراره ممّا لا يمكن حصوله بدقّة الفكر وكثرة البحث والتّنظر من غير طريق التّصفية والمراجعة إلى أهل بيت الولاية، واقتباس أنوار الحكمة من مشكاة علوم النّبوة، واستضاء أضواء المعرفة من جهة أحكام التّابعيّة المطلقة، وتصفيّة الباطن بالعبوديّة التامة، واقتفاء آثار الأئمة الماضين الواقفين على أسرار الشريعة، وتتبع منارات المتّقين المطلّعين على أنوار الكتاب والسنة؛ لينكشف على السالك شيء من أنوار علوم الملائكة والنبيّين، ويتخلّص من ظلمات أقاويل هؤلاء المبتدعين.

[و أمّا المقام الثّاني]: ومن مقصّر غال في حسم باب العقل، كالحنابلة - أتباع أحمد ابن حنبل - حتّى منعوا تأويل قوله ﴿كن فيكون﴾<sup>٣</sup> وزعموا أنّ ذلك خطاب بحرف وصوت يتعلّق بهما السّماع الظاهري يوجد من الله تعالى في كلّ لحظة بعدد كلّ مكوّن، حتّى نقل عن بعض أصحابه أنّه كان يقول حسم باب التأويل إلّا لثلاثة ألفاظ: قوله ﴿الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمان»<sup>٥</sup> وقوله «إني لأجد نفس الرحمان من جانب اليمن»<sup>٦</sup>.

وبعض النّاس أخذ في الاعتذار عنه بأنّ غرضه في المنع من التأويل رعاية إصلاح الخلق، وحسم الباب الوقوع في الرّخص، والخروج عن الضّبط، فإنّه إذا فتح باب التأويل



١. الكافي، ج ١، ص ٢١٣، باب الراسخون في العلم، ح ١.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر، باب أنّ الأئمة قد أوتوا العلم...، ح ١.

٤. كانت الآية في ثمانية موارد من القرآن: البقرة (٢): ١١٧؛ آل عمران (٣): ٤٧ و ٥٩؛ الأنعام (٦): ٧٣؛ النحل (١٦):

٤٠؛ مريم (١٩): ٣٥؛ يس (٣٦): ٨٢؛ غافر (٤٠): ٦٨.

٥. المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٣١، كتاب شرح عجائب القلب؛ عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٩٩، ح ١٣٩؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٢٥١ و ٣٠٢؛ والمستدرک للحاكم، ج ١، ص ٥٢٥، وج ٤، ص ٣٢١ أو في الاخير «ما من قلب إلّا بين إصبعين من أصابع الرحمان...».

٦. مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٥٤١، إلّا أنّ فيه «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن»؛ عوالي اللئالي، ج ١، ص ٥١، ح ٧٤.

وقع الخلق فى الخرق والعمل بالرأى، فيخرج الأمر عن الضبط، ويتجاوز الناس عن حدّ الاقتصاد فى الاعتقاد.

وقال أبو حامد الغزالي:

لا بأس بهذا الزجر، ويشهد له سيرة السلف بأنهم كانوا يقولون: «إقرءوها كما جاءت» حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء: «الاستواء معلوم وكيفيته مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة».



[وأما المقام الثالث]: فهو لطائفة ذهبوا إلى الاقتصاد فى باب التأويل، ففتحو هذا الباب

فى أحوال المبدء وسدّوها فى أحوال المعاد فأولوا أكثر ما يتعلّق بصفات الله تعالى من الرحمة والعلو والعظمة والالتيان والذهاب والمجىء، وتركوا ما يتعلّق بالآخرة على ظواهرها، ومنعوا التأويل فيها، وهم الأشعرية أصحاب أبى الحسن الأشعري، وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفات الله ما لم يأوله الأشاعرة، فأولوا السمع إلى مطلق العلم بالمسموعات، والبصر إلى العلم بالمبصرات، وكذا أولوا حكاية المعراج، وزعموا أنه لم يكن بجسد، وأول بعضهم عذاب القبر والصراط وجملة من أحكام الآخرة، ولكن أقرّوا بحشر الأجساد، وبالجنة، وباشتغالها على المأكولات، والمشروبات، والمنكوحات، والملاذ الحسية وبالنار، وباشتغالها على جسم محسوس يحترق الجلود، ويذيب الشحوم، وزاد المتفلسفون والطبيعيون، فأولوا كل ما ورد فى الآخرة، من الألم واللذة إلى ألم عقلية روحانية ولذات عقلية روحانية، وأنكروا حشر الأجساد، وقالوا ببقاء النفوس مفارقة إما معذبة بعذاب أليم وإما منعمة براحة ونعيم لا يدرك بالحس.

وهؤلاء هم المسرفون عن حدّ الاقتصاد الذى هو بين برودة جمود الحنابلة وحرارة المأولة. [وأما المقام الرابع]: فهو مسلك الراسخين فى العلم، الذين ينظرون بعيون صحيحة منورة بنور الله فى آياته من غير عور ولا حول، ويشاهدونه تعالى فى جميع الأكوان من غير قصور ولا خلل؛ إذ قد شرح الله صدرهم للإسلام، ونور قلوبهم بنور الإيمان، فلانشرح صدورهم، وانفتح روزنة قلوبهم يرون ما لا يراه غيرهم، ويسمعون ما لا يسمعون، ليس لهم حرارة التنزيه، ولا برودة التشبيه، ولا الخلط بينهما، كالفاتر من الماء، بل الخارج عن عالم الأضداد، كجوهر السماء فالخارج عن الضدين ليس كالجامع للطرفين.

وظنّى أنّ ما أوله الأشعري واستحسنه المعتزلة والمتفلسفون، كما عرفت غير مرضى عند الله وعند الرسول؛ لأنّ حمل هذه الألفاظ الواردة فى القرآن والحديث على مجرد التخيل

والتَّمثيل ، من غير حقيقة قرع باب السَّفَسطة ، والتَّعطيل وسدَّ باب الاهتداء والتَّحصيل ؛ إذ بتطرق تجويز مثل هذه التَّخيَّلات والتَّمثيلات ينسدَّ باب الاعتقاد بالمعاد الجسماني ، وأحوال القبر والصِّراط والميزان والحساب والجنَّة والنَّار ، وسائر المواعيد ؛ إذ يجوز لأحد عند ذلك أن يحمل كلاً من تلك الأمور على مجرد تخييل بلا تحصيل .



فكما جاز أن يحمل بيت الله وتقبييل الحجر وما في محاسبة العباد يوم القيامة ، من حضور الملائكة والتَّسبيح والشَّهداء ، ووضع الموازين ، على مجرد التَّخييل والتَّخويف والترغيب والإنذار ، فليجر مثل ذلك في الحساب والميزان والكتاب والجنَّة والنَّار والزَّقوم والحميم وتصلية جحيم .

بل الحقَّ المعتمد إبقاء الظواهر على هيئتها وأصلها ؛ إذ ترك الظواهر يؤدِّي إلى مفسد عظيمة .

نعم إذا كان الحمل على الظواهر مناقضا بحسب الظاهر لأصول صحيحة دينية وعقائد حقَّة يقينية ، فينبغي للإنسان أن يقتصر على صورة اللَّفظ ولا يبدلها ويحيل العلم به إلى الله والراسخون في العلم .

ثم يترصد لهبوب رياح الرِّحمة من عند الله ويتعرَّض لنفحات جوده وكرمه فان جاء من قبل الحقِّ تعالى نور على قلبه أوَّله على طبق القواعد .

والحاصل أنَّ المذاهب في متشابهات القرآن أربعة :

أحدها : مذهب أهل اللغة ، وعليه أكثر الفقهاء والمحدِّثون والحنابلة والكرامية ، وهو إبقاء الألفاظ على مدلولاتها الأولى ومفهوماتها الظاهرة ، وإن كان منافيا للقواعد العقلية .

وثانيها : مذهب أهل النَّظر وأصحاب الفكر وهو تأويل الألفاظ وصرفها عن مفهومها الأوَّل إلى معان تطابق قوانين النَّظر .

وثالثها : الجمع بين القسمين والخلط من المذهبيين التَّشبيهي في بعض والتَّنزیه في بعض ، كما عرفت . وهذا مذهب أكثر المعتزليين .

ورابعها : مسلك الراسخين في العلم كما عرفت .

### [التأويلات في آية النور]

مصباح إذا عرفت ما تلونا عليك يا حبيبي ويا قرّة عين السَّالِّكين فاعلم لا ضير في ذكر بعض التَّأويلات التي ذكرها أهل الذِّكر والراسخون في علم المكاشفة في آية النُّور :

منها: ما قال الشيخ محيي الدين الأعرابي في تفسيره في قوله تعالى ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

النور هو الذي يظهر بذاته و تظهر الأشياء به ، وهو مطلقا اسم من أسماء الله تعالى باعتبار شدة ظهوره وظهور الأشياء به . كما قيل :  
خفى لإفراط الظهور تعرضت لإدراكه أبصار قوم أخافش  
وخطأ العيون الزرق من نور وجهه كشدّة حظّ العيون العوامش  
ولما وجد بوجوده ، وظهر بظهوره كان نور السماوات والأرض ؛ أى مظهر سماوات  
الأرواح وأرض الأجساد وهو الوجود المطلق الذي وجد به ما وجد من الموجودات  
والإضاءة .

﴿مثل نوره﴾ صفة وجوده وظهوره في العالمين بظهورها به ﴿كمثل مشكاة فيها مصباح﴾  
وهي إشارة إلى الجسد لظلمته في نفسه ، وتنوره بنور الروح الذي أشير إليه بالمصباح ،  
وتشبيكه بشبّاك الحواس ، وتلاؤ النور من خلالها ، كحال المشكاة مع المصباح .  
و﴿الزجاجة﴾ إشارة إلى القلب المتنور بالروح المتور لما عدها ، بالإشراق عليه تنور  
القنديل كلّه بالشعلة وتنويره لغيره .  
وشبه الزجاجة بالكوكب الدرّي ؛ لبساطتها وفرط نوريتها وعلو مكانها وكثرة شعاعها ،  
كما هو الحال في القلب .

والشجرة التي توقد منها هذه الزجاجة هي النفس القدسيّة المزكّاة الصّافية ، شبّهت بها  
لتشعب فروعها ، وتفنّن قواها نابتة من أرض الجسد ، ومتعالية أغصانها في فضاء القلب  
إلى سماء الروح .  
ووصفت بالبركة ؛ لكثرة فوائدها ومنافعها من ثمرات الأخلاق والأعمال والمدرّكات ،  
وشدة نمائها بالترقي في الكمالات ، وحصول سعادة الدارين ، وكمال العالمين بها ،  
وتوقف ظهور الأنوار والأسرار والمعارف والحقائق والمقامات والمكاسب والأحوال  
والمواهب عليها .

وخصّت بالزيتونة ، لكون [بعض] مدرّكاتنا جزئية مقارنة للمادّة ، كالزيتون ، فإنّه ليس  
كله لبّا ؛ و لوفور استعدادها للاشتعال والاستضاءة بنور نار العقل الفعّال الواصل إليها  
بواسطة الروح و القلب كوفور الدهنيّة القابلة لاشتعال الزيتون .



ومعنى كونها ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أنها متوسطة بين غرب عالم الأجساد، الذي هو موضع غروب النور الإلهي وتستره بالحجاب الظلماني، وبين شرق عالم الأرواح، الذي هو موضوع طلوع النور وبروزه عن الحجاب التوراني؛ لكونها أطف وأنور من الجسد، وأكثر من الروح.



﴿يكاد زيت استعدادها من النور القدسي الفطري الكامن فيها﴾ يضيء ﴿بالخروج إلى الفعل، والوصول إلى الكمال بنفسه، فتشرق ﴿ولو لم تمسه نار﴾ العقل الفعال ولم يتصل به نور روح القدس؛ لقوة استعداده وفرط صفاء ﴿نور على نور﴾ أي هذا المشرق بالإضافة من الكمال الحاصل نور زائد على نور الاستعداد الثابت المشرق في الأصل، كأنه نور متضاعف. ﴿يهدى الله لنوره﴾ الظاهر بذاته المظهر لغيره بالتوفيق والهداية ﴿من يشاء﴾ من أهل العناية ليفوز بالسعادة ﴿والله بكل شيء عليم﴾ يعلم الأمثال وتطبيقها ويكشف لأوليائه تحقيقها<sup>١</sup> انتهى.

ومنها: ما قال خاتم الحكماء نصير الملة والدين - قدس الله سره ونور مرقده - فيشرح الإشارات عند شرح كلام الشيخ أبو علي سينا بهذه العبارة.

وإذا تقرّر هذا فنقول: لما كانت الإشارة المترتبة في التمثيل المورد في التنزيل لنور الله تعالى وهو قوله عز وجل ﴿الله نور السماوات والأرض...﴾ مطابقة لهذه المراتب. وقد قيل في الخبر «من عرف نفسه فقد عرف ربه»<sup>٢</sup> فقد فسّر الشيخ تلك الإشارات بهذه المراتب، فكانت ﴿المشكاة﴾ شبيهة بالعقل الهيولاني؛ لكونها مظلمة في ذاتها قابلة للنور، لا على التساوي؛ لاختلاف السطوح والثقب فيها. و﴿الزجاجة﴾ بالعقل بالملكة؛ لأنها شقافة في نفسها، قابلة للنور أتم قبول. و﴿الشجرة الزيتونة﴾ بالفكر؛ لكونها مستعدة لأن تصير قابلة للنور بذاتها، لكن بعد حركة كثيرة وتعب و﴿الزيت﴾ بالحدس، لكونه أقرب إلى ذلك من الزيتونة.

والذي ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار﴾ بالقوة القدسية، لأنها تكاد تعقل بالفعل ولو لم يكن شيء يخرجها من القوة إلى الفعل و﴿نور على نور﴾ بالعقل المستفاد، فإن الصور المعقولة نور، والنفس القابلة لها نور آخر. و﴿المصباح﴾ بالعقل بالفعل؛ لأنه

١. تفسير القرآن الكريم للشيخ محيي الدين بن عربي، ج ٢، ص ١٣٩-١٤١، ط دار الاندلس، بيروت.

٢. هذا الخبر مشهور بين الفريقين راجع عوالي اللئالي، ج ٤، ص ١٠٢، ح ١٤٩؛ مصباح الشريعة، ص ٢٥٧، الباب

٦٢؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٢، ح ٢٢.





نير بذاته من غير احتياج إلى نور يكتسبه، و«النار» بالعقل الفعال؛ لأن المصباح تشتعل منها.<sup>١</sup>

أقول: الأولى أن يقول الشارح المحقق - قدس سره - إن العقل الهولاني شبيهة بالمشكاة لا المشكاة شبيهة بالعقل الهولاني؛ لأن في الآية على ما فسره الشيخ الرئيس<sup>٢</sup> استعارة، والاستعارة استعمال اللفظ الموضوع للمشبه به في المشبه، كما في قولنا: «رأيت أسدا يرمى» لا استعمال المشبه في المشبه به.

وأيضا الشائع المتعارف تشبيه المعقول بالمحسوس لا العكس، وإذا شبه المحسوس بالمعقول، فيأول المعقول بالمحسوس و يجعل محسوسا حتى يصح التشبيه. فإن قلت: لعله جعل من قبيل الاستعارة بالكناية، فإنها عند السكاكي ذكر المشبه وإرادة المشبه به.<sup>٣</sup>

قلت: قد حقق المحققون في موضعه بأنه ليس مراد السكاكي أنه يراد المشبه به حقيقة بلفظ المشبه، بل ادعاء لظهور أن ليس المراد في قولهم: «أنشبت المنية أظفارها» من لفظ المنية هو السبع حقيقة، بل الموت حقيقة، والسبع مرادة ادعاء، ومعلوم أن مراد الشيخ من هذا التفسير أنه تعالى أراد بالمشكاة العقل الهولاني حقيقة، وذلك ظاهر، فافهم وتأمل. هذا ما اختلج بالبال في هذا المقال.

قال صاحب المحاكمات:

إن الشيخ الرئيس<sup>٤</sup> قد حمل المفردات المذكورة في التنزيل على هذه المراتب، لكن لتلك المفردات ترتيب فيه حيث جعل ﴿الزجاجة﴾ في ﴿المشكاة﴾، و﴿المصباح﴾ في ﴿الزجاجة﴾، فلا بد من بيان تطبيق هذا الترتيب على ترتيب المراتب، ولم يلم به الشارحون.

فنقول: قد تقرر أن هناك استعدادين: استعداد اكتساب، واستعداد استحضار، وحضور المعقولات. ولا شك أن استعداد الاكتساب بحسب الاستعداد المحض، واستعداد الاستحضار بحسب استعداد الاكتساب، فيكون ﴿الزجاجة﴾ وهي عبارة عن العقل بالملكة إنما هي في ﴿المشكاة﴾ وهي العقل الهولاني. و﴿المصباح﴾ وهو

١. الإشارات والتنبيهات، ج ٢، ص ٣٥٦ و ٣٥٧.

٢. الإشارات والتنبيهات، ج ٢، ص ٣٥٣.

٣. مختصر المعاني، ص ١٧٧، ط تهران، «أسفت مصباحي»

٤. قال صاحب المحاكمات: «الشيخ قد حمل المفردات...»



العقل بالفعل في ﴿الزَّجَاجَةِ﴾ التي هي العقل بالملكة؛ لأنه إنَّما يحصل باعتباره وحصول العقل بالملكة أولاً. والعقل بالملكة إنَّما يخرج من القوة إلى الفعل بالفكر أو الحدس. و﴿الشَّجَرَةَ الزَّيْتُونَ﴾ إشارة إلى الفكر. و﴿الزَّيْتِ﴾ في قوله: ﴿زَيْتِهَا﴾ إشارة إلى الحدس وقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ﴾ إشارة إلى القوة القدسيَّة.

فإن قلت: هذه الإشارات ليست منطبقة على ما في الآية؛ لأنه تعالى يصف شجرة تلك الصِّفات جميعها صفتها، فكيف يكون إشارات إلى أمور متباينة. وبيانه أنه تعالى يصف شجرة بأن لها زيتاً ﴿يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، فلو كانت «الزيت» عبارة عن الحدس، و«يكاد يضيء» عبارة عن القوة القدسيَّة، يلزم وصف الفكر بالحدس والقوة القدسيَّة، وأنها أمور متباينة لا يجوز وصف أحدها بالآخر فنقول: الشجرة الزيتونة شيء واحد، فإذا ترقَّت في أطوارها حصل لها زيت، وإذا ترقَّى الزيت في صفاء كاد يضيء فكذلك الاكتساب إنَّما هو بقوة نفسانيَّة وهي الفكر ما دامت ضعيفة، ثم إذا قويت كانت حدسا، فإذا بلغ إلى غاية الشرف صار قوة قدسيَّة. فهذه الأمور وإن كانت متباينة بحسب الاعتبار إلا أنها يرجع إلى شيء واحد كالشجرة الزيتونة.

وأما قوله تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ فهو تنبيه على أنها ليست من عالم الحسِّ وإلا لكانت إما شريقيَّة أو غربيَّة. وأما قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فهو العقل المستفاد، فقد مثل نوره تعالى بالعقل المستفاد، وهو كمال النَّفس الإنسانيَّة في القوة النَّظريَّة تحقيقاً؛ لاستلزام معرفة النَّفس معرفة الربِّ علت كلمته.<sup>١</sup>

انتهى كلام صاحب المحاكمات.

ومنها: ما قاله في التأويلات النَّجميَّة بهذه العبارة:

هذا مثل ضربه الله تعالى للخلق تعريفا لذاته وصفاته فلكل طائفة من عوام الخلق وخواصهم اختصاص بالمعرفة في فهم الخطاب على حسب مقاماتهم وحسن استعدادهم. فأما العوام، فاختصاصهم بالمعرفة في رؤية شواهد الحق وآياته بإرائته إيَّاهم في الآفاق. وأما الخواص، فاختصاصهم بالمعرفة في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته تبارك وتعالى بإرائته في أنفسهم عند التجلِّي لهم بذاته وصفاته.

١. حاشية كتاب الإشارات والتنبيهات، ج ٢، ص ٣٥٥ و ٣٥٦؛ فإن المحاكمات لقطب الدين محمد الرازي قد طبع في ذيله.



كما قال تعالى في الطائفتين ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ أي العوام ﴿وفي أنفسهم﴾  
أي لخواصهم ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت (٤١): ٥٣).

فأمّا العوام، فاختصاصهم بالمعرفة في رؤية شواهد الحق وآياته بإرائته إياهم في الآفاق.  
وأمّا الخواص، فاختصاصهم بالمعرفة في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته تبارك  
وتعالى بإرائته في أنفسهم عند التجلّي لهم بذاته وصفاته.

كما قال تعالى في الطائفتين ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ أي العوام ﴿وفي أنفسهم﴾  
أي لخواصهم ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت (٤١): ٥٣).  
الكرسى من العرش وزجاجة العرش.

﴿كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ وهي شجرة الملكوت وهو باطن  
السمّوات والأرض، ومعناها ﴿لا شرقية﴾ أي ليست من شرق الأزل والقدم، كذات  
الله تعالى وصفاته ﴿ولا غربية﴾ أي ليست من غرب الفناء والعدم، كعالم الأجسام  
وصورة العالم، بل هي مخلوقة أبدية لا يعترها الفناء.

﴿يكاد زيتها﴾ وهو عالم الأرواح ﴿يضىء﴾ أي يظهر من العدم في عالم الصّور  
المتولّدات بازدواج الغيب والشهادة طبعاً وخاصية، كما توهمه الدهرية والطبائعية -  
خذلهم الله تعالى: ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ أي نار القدرة الإلهية ﴿نور على نور﴾ أي  
نور الصّفة الرّحمانية على نور أي باستوائه على نور العرش، فينقسم نور الصّفة  
الرّحمانى من العرش إلى السمّوات والأرض، فيتولّد منه متولّدات ما في السمّوات  
والأرض بالقدرة الإلهية على وفق الحكمة والإرادة القديمة، فلماذا قال تعالى: ﴿إن  
كلّ من السمّوات والأرض إلاّ أتى الرّحمن عبداً﴾ (مريم (١٩): ٩٣) فافهم جدّاً.

وأمّا حظّ الخواصّ في مشاهدة أنوار صفات الله تعالى وذاته بإرادة الحقّ في أنفسهم  
فإنّما يتعلّق بالسّير فيها؛ لأنّ الله تعالى خلق نفس الإنسان مرآة قابلة لشهود ذاته وجميع  
صفاته، إذا كانت صافية عن صداء الصّفات الذميمة والأخلاق الرديّة مصقولة بمصقولة  
كلمة «لا إله إلاّ الله» ليتنفى بنفى «لا إله» تعلقها عمّا سوى الله ويثبت بإثبات «إلاّ الله»  
فيها نور جمال الله وجلاله، فيرى بنور الله الجسد كالمشكاة، والقلب كالزجاجة،  
والسرّ كالمصباح.

و﴿الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ وهي شجرة الرّوحانية ﴿لا  
شرقية﴾ أي لا قديمة أزلية ﴿ولا غربية﴾ أي لا فانية تغرب في سماء الوجود في عين  
العدم. ﴿يكاد زيتها﴾ وهو الرّوح الإنساني ﴿يضىء﴾ بنور العقل الذي هو ضوء الرّوح



وصفائه، أى يكاد زيت الرّوح أن يعرف الله تعالى بنور العقل ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ أى نار نور الإلهية، فأبت عظمة جلال الله وعزة كبريائه أن تدرك بالعقول الموسومة بوصمة الحدوث إلا أن يتجلى نور القدم لنور العقل الخارج من العدم، كما قال تعالى: ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أى بنور مصباح سرّ من يشاء بنور القدم، فتتنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد، ويخرج أشعتها من روزنة الحواس فاستضاءت أرض البشرية، واشرفت الأرض بنور ربّها، وتتحقّق حينئذ مقام «كنت له سمعا وبصرا» الحديث .  
وفيه إشارة إلى أنّ نور العقل مخصوص بالإنسان مطلقا ولا سبيل له بالوصول إلى نور الله، فهو مخصوص بهداية الله إليه فضلا وكرما ما لا يتطرق إليه كسب العباد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أى للتأسيين عهود أيام الوصال بلاهم فى أزل الأزال ﴿والله بكلّ شىء عليم﴾ فى حالات وجود الأشياء وعدمها بغير التغيّر فى ذاته وصفاته»<sup>٢</sup>.

انتهى كلام التأويلات .

ومنها: ما قال أستاذنا الأعظم رئيس أذواق المتألّهين الهادى المضلّين - نور الله مرقدّه وقدّس سرّه- فى شرح غرر الفرائد فى غرر انعقد فى العقل النظرى والعقل العملى بعد ذكر مراتب الأربعة للعقل النظرى كما ذكرنا بقوله:

ثمّ أشرنا إلى ما ذكره الشيخ فى الإشارات من تنزيل [التمثيل] المورد فى التنزيل لنور الله تعالى على هذه المراتب، كما فى الخبر «من عرف نفسه فقد عرف ربه» بقولنا .  
والأول المشكاة، والثانى علم زجاجة، والثالث المصباح سم  
لرابع نور على نور سما والزيت أيضا قوة الحدس اعلمنا  
والفرق بين الفكر والحدس أنّ الفكر حركة من المطالب إلى المبادئ ومن المبادئ إلى المطالب، والحدس ظفر بالحدود الوسطى دفعة عند الالتفات إلى المطالب، وتمثّل للمطالب فى الذهن مع الحدود الوسطى كذلك من غير [هذا] الحركتين المذكورتين - سواء كان مع شوق أو لم يكن - ثمّ إنّ للحدس مراتب، وبالبلغة منها إلى

١. علل الشرايع، ج ١، ص ١٢، بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٨٤، ح ٣؛ ج ٧٠، ص ١٦، ح ٨؛ ونقل نحوه فى إرشاد القلوب للديمى، ج ١، ص ١٧٠ .  
٢. لم تطع .

٣. قد مرّ الخبر بأنّه مشهور بين الفريقين عن النبى ﷺ، راجع عوالى اللئالى، ج ٤، ص ١٠٢، ح ١٤٩؛ مصباح الشريعة، ص ٢٥٧، الباب ٦٢؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٢، ح ٢٢ .



غاية الشرف قوة قدسية كما قلنا :

كمال حدس قوة قدسية يكاد زيتها يضيء مأتية  
صفة قوة؛ أي قوله تعالى: ﴿يَكَادُ﴾ إلى آخر آيتها وهي مأتية «شجرة زيتونة أفكار» لشبابة  
الفكر الصحيح بكثرة فروعه ونتائجه المتوصل بها إلى نور اليقين الدائم بالشجرة  
المباركة الكثيرة الخيرات، المتوصل بها إلى النور الحسى . و«لعقل فعال يعزى نار» فى  
قوله تعالى ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ كما فى قوله تعالى: ﴿آنس من جانب الطور نارا﴾  
(القصص(٢٨): ٢٩) والطور فى التأويل مرتبة السر من القلب»<sup>١</sup>.

وقال الأستاذ بعد هذا النقل من شارح الإشارات بما اختاره - قدس سره - من التأويل  
فى مقام التطبيق بين العالمين بقوله «ره»:

ثم بعد تنزيل التمثيل على نوره تعالى فى الأنفس والإنسان الصغیر أشرنا إلى تنزله  
على نوره تعالى فى الآفاق، والإنسان الكبير من الأنوار الإسفهدية والقاهرة، ونور  
الأنوار بقولنا: «أو جسم كلّ ونفس كلّ وعقل كلّ؛ وهو» أى الهوية الصرفة «عليها»؛ أى  
على هذا «ذاك الأربع»؛ أى المشكاة والزجاجة و المصباح ونور على نور «يدل»، وعلى  
هذا «العوالم الأسماء روح الشجرة» وباطنها؛ لكثرة فروع مفاهيم الأسماء بحيث قيل:  
فيها جاءت الكثرة كم شئت . فمنها يوقد الأنوار الثلاثة التى دونها «كما به» أى بعالم  
الأسماء «أول أيضا سدره» أى شجرة سدره المنتهى التى هى البرزخية الكبرى، وفى  
قوله تعالى: ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ إشارة إلى أنها ليست من عالم الحسّ والألكانت  
إما شرقية أو غربية، وكذا فى قوله تعالى: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ دلالة على  
أن المراد بهذه العبارات هذه الاستعارات فقوله تعالى: ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ إشارة  
إلى الخلوع عن الجريزة والبلاهة على الأول، وإلى أنه لا وحدة صرفة ولا كثرة محضة، أو  
إلى أنه لا هو ولا غيره على الثانى»<sup>٢</sup>.

انتهى كلامه - قدس سره - بعين عبارته بلا تغيير . فافهم وتأمل فى جميع ما تلونا  
عليك، وانظر بنظر العقل والبصيرة، ولا تنظر بنظر العناد والعصبية والجدال والمناظرة حتى  
تأتى على قلبك من عالم النور نور به يتميّز الحق عن الباطل، وبه ينهزم جنود الجهل وهو  
النور الذى يقذفه الله فى قلب من يشاء وفقنى الله وإياك يا حبيبي فى تحصيل هذا النور .

١. شرح المنظومه، ص ٣١٢-٣١٣.

٢. نفس المصدر، ص ٣١٣.

### نكته: [ما هو النور الحقيقي؟]

واعلم يا حبيبي! أنّ النور الحقيقي كما عرفت مرارا هو الذي يدرك الأشياء به، وهو لا يدرك؛ لأنه عين ذات الحقّ من حيث تجرّد الذات عن النسب والإضافات .

ولهذا سئل النبي ﷺ هل رأيت ربك قال ﷺ «نوراني أراه»<sup>١</sup> والهمزة في قوله استفهام إنكاري؛ أي لا يمكن رؤيته، وكذا إشارة الحقّ تعالى في كتابه إلى ظهور نوره في مراتب المظاهر بقوله: ﴿اللّهُ نور السّموات والأرض﴾ إلى آخره .

فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل، كما عرفت قال: ﴿نور على نور﴾ فأحد التورين هو الضياء والآخر هو النور المطلق الأصلي، ولهذا تمّم فقال: ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ أي يهدى الله بنوره المتعيّن في المظاهر إلى نوره المطلق الأحدي . وبعبارة أخرى أنّ العالم بمجموع صوره المحسوسة، وحقائقه الغيبية المعقولة أشعة نور الحقّ، وقد أخبر الحقّ أنّه نور السّموات والأرض .

ثمّ ذكر الأمثلة والتفاصيل المتعيّنة بالمظاهر على نحو ما تقتضيه مرآتها .

ثم قال في آخر الآية: ﴿نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء﴾ فأضاف النور إلى نفسه مع أنّه عين النور، وجعل نوره المضاف إلى العالم الأعلى والأسفل هاديا إلى معرفة نوره المطلق ودالّا عليه، كما جعل المصباح والمشكاة والشجرة وغيرها من الأمثال هاديا إلى نوره المقيّد وتجليّاته المتعيّنة في مراتب مظاهره؛ كما نطق سيّد ولد آدم خاتم النبيّين ﷺ «من رأى فقد رأى الله»<sup>٢</sup> .

وورد عن الأئمة المعصومين ﷺ في حقّهم: «من عرفنا فقد عرف الله»<sup>٣</sup> .

واعلم أيضا أنّ المراد من النور الأوّل في قوله تعالى: ﴿نور على نور﴾ هو النور الإضافيّ الإشراقى المنبسط على سماوات الأسماء وأرض الأشياء، ومن النور الثاني هو النور الحقيقيّ بهر برهانه المستغنى عن سماوات الأسماء وأرض الأشياء، والنور الإضافيّ المنبسط الذي هو المراد من الحقيقة المحمّدية ﷺ دليل دالّ على النور الحقيقيّ، والدليل

١. سنن الترمذى الجامع الصحيح، ج ٥، ص ٣٩٦، الرقم ٣٢٨٣، كتاب التفسير، سورة النجم؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ١٥٧ و ١٧١ .

٢. بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٣٥؛ صحيح البخارى، ج ٨، ص ٧٢، باب من رأى النبي في المنام؛ ونقل عنه في فتح البارى، ج ١٢، ص ٢٨٣ .

٣. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٦٤، ج ٦٦؛ ج ٢٣، ص ١٢٨، ج ٥٩ .





ظاهر النور المطلق، والمدلول باطنه .  
كما ورد في الحديث «إنَّ الله خلق آدم على صورته»<sup>١</sup> .  
وكذا ورد عن سيّد الموحّدين «من عرفني بالنورانية فقد عرف الله»<sup>٢</sup> .  
وفي التّحقيق الأتمّ وهو طريق الصّديّين أنّ الله تعالى هو دليل على نفسه، كما قال  
أمير المؤمنين عليه السلام: «يا من دلّ على ذاته بذاته»<sup>٣</sup> . فافهم .

### [نقل كلام الفخر الرازي]

واعلم يا حبيبي! أنك إذا سمعت ما نقلنا من التفسيرات والتأويلات والتّحقيقات، فلننقل  
ما ذكره الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير بعين عبارته بلا زيادة ونقصان، ونشير في  
خلال النّقل إلى بعض الخلل حتّى ينكشف لك حقيقة الحال في تفسير آية النور، والمقال  
في الأقوال .

### قال الإمام [الفخر الرازي]:<sup>٤</sup>

«اعلم أنّ الكلام في هذه الآية مرّتب على فصول:  
الفصل الأوّل في إطلاق اسم النور على الله تعالى:  
اعلم أنّ لفظ النور موضوع في اللّغة لهذه الكيفيّة الفائضة من الشّمس [والقمر] والنّار  
على الأرض والجدران وغيرهما، وهذه الكيفيّة تستحيل أن تكون إلها لوجوه:  
أحدها: أنّ هذه الكيفيّة إن كانت عبارة عن الجسم كان الدليل الدالّ على حدوث  
الجسم دالّا على حدوثها، وإن كانت عرضا فمتى ثبت حدوث الجسم لزم حدوث  
جميع الأعراض القائمة به، ولكن هذه المقدّمة إنّما تثبت بعد إقامة الدلالة على أنّ  
الحلول على لله تعالى محال .  
وثانيها: أنا سواء قلنا: «النور جسم أو أمّرحال في الجسم»، فهو منقسم؛ لأنّه إن كان

١ . التوحيد، ص ١٠٣، ١٥٢، ١٥٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٠؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٤٤؛ بحار  
الأنوار، ج ٤، ص ١٢ .  
٢ . التوحيد، ص ١٦٤ و١٦٥؛ معاني الأخبار، ص ١٨؛ الاختصاص ص ٢٤٨؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ٩، ح ١٨؛  
ج ٢٤، ص ١٩٩، ح ٣٧، ولكن هذه الكتب هكذا «من عرفني وعرف حتّى فقد عرف ربّه» .  
٣ . بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٢٤٣، ح ١١؛ مفاتيح الجنان، دعاء الصباح .  
٤ . التفسير الكبير، ج ٢٣، ص ٢٢٣-٢٣٥ .

جسما فلا شكّ في أنّه منقسم وإن كان حالاً فيه ، فالحالّ في المنقسم منقسم ، وعلى التقديرين فالنور منقسم ، وكلّ منقسم ، فإنّه يفتقر في تحقّقه إلى تحقّق أجزائه ، وكلّ واحد من أجزائه غيره ، وكلّ مفتقر ، فهو في تحقّقه مفتقر إلى غيره ، والمفتقر إلى الغير ممكن لذاته محدث بغيره ، فالنور محدث ، فلا يكون إلها .

وثالثها : أنّ هذا النور المحسوس لو كان هو الله لوجب أن لا يزول هذا النور لامتناع الزوال على الله تعالى .

ورابعها : أنّ هذا النور المحسوس يقع بطلوع الشمس والكواكب ، وذلك على الله محال .

وخامسها : أنّ هذه الأنوار لو كانت أزليّة لكانت إمّا أن تكون متحركة أو ساكنة ، لا جائز أن تكون متحركة ؛ لأنّ الحركة معناها الانتقال من مكان إلى مكان ، فالحركة مسبوقة بالحصول في المكان الأول . والأزليّ يمتنع أن يكون مسبوقة بالغير ، فالحركة الأزليّة محال ، ولا جائز أن تكون ساكنة ، لأنّ السكون لو كان أزليّاً لكان ممتنع الزوال ، لكنّ السكون جائز الزوال ؛ لأنّنا نرى الأنوار تنتقل من مكان إلى مكان ، فدلّ ذلك على حدوث الأنوار .

وسادسها : أنّ النور إمّا أن يكون جسماً أو كميّة قائمة بالجسم ، والأول محال ؛ لأنّنا قد نعقل الجسم جسماً مع الذهول عن كونه نيّراً ، ولأنّ الجسم قد يستتير بعد أن كان مظلماً ، فثبت الثانی ، لكنّ الكميّة القائمة بالجسم محتاجة إلى الجسم و المحتاج إلى الغير لا يكون إلها .

وبمجموع هذه الدلائل يبطل قول المانويّة الذين يعتقدون أنّ الإله سبحانه هو النور الأعظم .

وأما المجسمّة المعترفون بصحّة القرآن فيحتجّ على فساد قولهم بوجوه ثلاثة :  
الأول : قوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (الشورى (٤٢) : ١١) ولو كان نوراً لبطل ذلك ؛ لأنّ الأنوار كلّها متماثلة .

الثاني : أنّ قوله تعالى : ﴿ مثل نوره ﴾ صريح في أنّه ليس ذاته نفس النور بل النور مضاف ، وكذا قوله : ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ (النور (٢٤) : ٣٥) .

فإن قيل قوله : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ يقتضى ظاهره أنّه في ذاته نور ، وقوله : ﴿ مثل نوره ﴾ يقتضى أن لا يكون هو في ذاته نوراً وبينهما تناقض .

قلنا : نظير هذه الآية قولك «زيد كرم وجود» ، ثمّ تقول : «يتعیش الناس بكرمه وجوده» ،







وعلى هذا الطريق لا تناقض .  
الثالث : قوله سبحانه و تعالى : ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ (الأنعام (٦) : ١) وذلك صريح  
في أنّ ماهية النور مجعولة لله تعالى ، فيستحيل أن يكون الإله نورا فثبت أنه لا بدّ من  
التأويل . والعلماء ذكروا فيه وجوها :

أحدها : أنّ النور سبب للظهور والهداية لما شاركت النور [في هذا النور] في هذا  
المعنى صحّ إطلاق النور على الهداية وهو كقوله تعالى : ﴿اللّه وليّ الذين آمنوا يخرجهم  
من الظلمات إلى النور﴾ (البقره (٢) : ٢٥٧) وقوله : ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا﴾  
(الأنعام (٦) : ١٢٢) وقال : ﴿ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ (الشورى (٤٢)  
: ٥٢) فقوله : ﴿اللّه نور السموات والأرض﴾ أى ذو نور السماوات والأرض ، والنور هو  
الهداية ولا تحصل إلا لأهل السماوات والأرض .

والحاصل ، أنّ المراد اللّه هادى أهل السماوات والأرض ، وهو قول ابن عباس والأكثرين  
رضى اللّه عنهم .

وثانيها : المراد أنّ مدبّر السماوات والأرض بحكمة بالغة وحجّة تيرة فوصف نفسه بذلك  
كما يوصف الرئيس العالم بأنّه نور البلد ، فإنّه إذا كان مدبّرهم تديرا حسنا فهو لهم  
كالنور الذى يهتدى به إلى مسالك الطرق . قال جرير : «وانت لنا نور وغيث وعصمة»  
وهذا اختيار الأصم والزجاج .

وثالثها : المراد ناظم السماوات والأرض على الترتيب الأحسن ، فإنّه قد يعبر بالنور  
على النظام يقال : «ما أرى لهذا الأمر نورا» .

ورابعها : معناه منور السماوات والأرض .

ثمّ ذكروا فى هذا القول ثلاثة أوجه :

أحدها : أنّه منور السماء بالملائكة والأرض بالأنبياء .

والثانى : أنّه منورها بالشمس والقمر والكواكب .

والثالث : أنّه زين السماء بالشمس والقمر والكواكب ، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء ،  
وهو مروى عن أبى ابن كعب والحسن و أبى العالوية . والأقرب هو القول الأوّل ؛ لأنّ  
قوله فى آخر الآية ﴿يهدى اللّه لنوره من يشاء﴾ يدلّ على أنّ المراد بالنور الهداية إلى  
العلم والعمل .

واعلم أنّ الشيخ الغزاليّ «ره» صنّف فى تفسير هذه الآية الكتاب المسمّى بـ«مشكاة  
الأنوار» وزعم أنّ اللّه نور فى الحقيقة ، بل ليس النور إلا هو وأنا أنقل محصّل ما ذكره



مع زوائد كثيرة تقوى كلامه ثم ننظر في صحته وفساده على سبيل الانصاف .  
فقال: <sup>١</sup> اسم النور إنما وضع للكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على ظواهر  
هذه الأجسام الكثيفة، فيقال: استنارت الأرض ووقع نور الشمس على الثوب ونور  
السراج على الحائط، ومعلوم أن هذه الكيفية إنما اختصت بالفضيلة أو الشرف؛ لأن  
المرئيات تصير بسببها ظاهرة منجلية، ثم من المعلوم أنه كما يتوقف إدراك هذه المرئيات  
على كونها مستنيرة فكذا يتوقف على وجود العين الباصرة، إذ المرئيات بعد استنارتها لا  
تكون ظاهرة في حق العميان، فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهرة في كونه ركنًا لا بد  
منه للظهور، ثم يرجح عليه في أن الروح الباصرة هي المدركة وبها الإدراك .  
وأما النور الخارج فليس بمدرك ولا به الإدراك، بل عنده الإدراك فكان وصف الإظهار  
بالنور الباصر أحق منه بالنور المبصر، فلا جرم أطلقوا اسم النور على نور العين  
المبصرة، فقالوا في الخفّاش: إن نور عينه ضعيف، وفي الأعمش إنه ضعف نور بصره،  
وفي الأعمى إنه فقد نور البصر .

إذا ثبت هذا فنقول: إن للإنسان بصرا وبصيرة، فالبصر هو العين الظاهرة المدركة  
للأضواء والألوان، والبصيرة هي القوة العاقلة . وكل واحد من الإدراكين يقتضى ظهور  
المدرك، فكل واحد من الإدراكين نور إلا أنهم عدّدوا لنور العين عيوبًا لم يحصل  
شئ منها في نور العقل .

والغزالي - رحمه الله - ذكر منها سبعة ونحن جعلناها عشرين :

الأول: أن القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك إدراكها ولا تدرك آلتها .

أما أنها لا تدرك نفسها ولا تدرك آلتها فلأن القوة الباصرة وإدراك القوة الباصرة ليسا من  
الأمور المبصرة بالعين الباصرة . وأما آلتها فهي العين والقوة الباصرة بالعين لا تدرك العين .

وأما القوة العاقلة فإنها تدرك نفسها، وتدرك إدراكها، وتدرك آلتها في الإدراك، وهي  
القلب والدماغ . فثبت أن نور العقل أكمل من نور البصر .

الثاني: أن القوة الباصرة لا تدرك الكليات، والقوة العاقلة تدركها، ومدرك الكليات وهو  
القلب أشرف من مدرك الجزئيات . أما أن القوة الباصرة لا تدرك الكليات، فلأن القوة  
الباصرة لو أدركت كل ما في الوجود فهي ما أدركت الكل؛ لأن الكل عبارة عن كل ما  
يمكن دخوله في الوجود في الماضي والحاضر والمستقبل .

١ . مشكاة الأنوار، لأبي حامد الغزالي، ص ٤، وما بعدها فإن الإمام الرازي نقل كلامه بالمعنى .

٢ . مشكاة الأنوار، ص ٦ .



وأما أن القوة العاقلة تدرك الكليات؛ فلأننا نعرف أن الأشخاص الإنسانية مشتركة في الإنسانية، وتممايزة بخصوصياتها و ما به المشاركة غير ما به الممايزة فالإنسانية من حيث هي إنسانية أمر مغائر لهذه الشخصيات . فقد عقلنا الماهية الكلية .

وأما أن إدراك الكلى يتضمن إدراك الجزئيات الواقعة تحته؛ لأن ما ثبت للماهية ثبت لجميع أفرادها ولا ينعكس، فثبت أن الإدراك العقلي أشرف .

الثالث: الإدراك الحسى غير منتج، فلأن من أحس بشيء لا يكون ذلك الإحساس سببا لحصول إحساس آخر له، بل لو استعمل له الحس مرة أخرى لا حس به مرة أخرى، ولكن ذلك لا يكون انتاج الإحساس لإحساس آخر .

وأما أن الإدراك العقلي منتج، فلأننا إذا عقلنا أموراً ثم ركبناها في عقولنا توصلنا بتركيبها إلى اكتساب علوم أخرى، وهكذا كل تعقل حاصل، فإنه يمكن التوصل به إلى تحصيل تعقل آخر إلى ما لا نهاية له، فثبت أن الإدراك العقلي أشرف .

الرابع: الإدراك الحسى لا يتسع للأشياء الكثيرة والإدراك العقلي يتسع لها، فوجب أن يكون الإدراك العقلي أشرف .

أما أن الإدراك الحسى لا يتسع لها، فلأن البصر إذا توالى عليه ألوان كثيرة التبتت عليه تلك الكلمات ولم يحصل التمييز .

وأما أن الإدراك العقلي متسع لها، فلأن كل من كان تحصيله للعلوم أكثر كانت قدرته على كسب الجديد أسهل وبالعكس، وذلك يوجب الحكم بأن الإدراك العقلي أشرف .

الخامس: القوة الحسية إذا أدركت المحسوسات القوية ففي ذلك الوقت تعجز عن إدراك الضعيفة، فإن من سمع الصوت الشديد ففي تلك الحالة لا يمكنه أن يسمع الصوت الضعيف، والقوة العقلية لا يشغلها شأن عن شأن<sup>٤</sup> .

السادس: القوى الحسية تضعف بعد الأربعين وتضعف عند كثرة الأفكار التي هي موجبة لاستيلاء النفس على البدن، الذي هو موجب لخراب البدن، والقوى العقلية

١ . كذا في التفسير: «وأما أن إدراك الكليات أشرف فلأن إدراك الكليات ممتنع التغير، وإدراك الجزئيات واجب التغير، ولأن

ادراك الكلى...» التفسير الكبير، ج ٢٣، ص ٢٢٥

٢ . كذا في التفسير: «الإدراك الحسى غير منتج والإدراك العقلي منتج فوجب أن يكون العقل أشرف، أما كون الإدراك الحسى غير منتج فلأن...» راجع ص ٢٢٥ .

٣ . كذا في التفسير: «ألوان كثيرة عجز عن تمييزها، فأدرك لونها كأنه حاصل من اختلاط تلك الألوان [و]السمع إذا توالى عليه كلمات كثيرة التبتت عليه...»، فراجع التفسير الكبير، ج ٢٣، ص ٢٢٥ .

٤ . «لا يشغلها معقول عن معقول» راجع التفسير الكبير .

تقوى بعد الأربعين ، وتقوى عند كثرة الأفكار الموجبة لخراب البدن ، فدل ذلك على استغناء القوة العقلية عن هذه الآلات واحتياج القوى الحسية إليها .

السابع : القوى الحسية لا تدرك المرئى مع القرب القريب ولا مع البعد البعيد ، والقوة العقلية لا يختلف حالها بحسب القرب والبعد فإنها تترقى إلى ما فوق العرش ، وتنزل إلى ما تحت الشرى فى أقل من لحظة واحدة ، بل تدرك ذات الله وصفاته بوجه ، مع كونه منزها عن القرب والبعد والجهة ، فكانت القوة العقلية أشرف .

الثامن : القوة الحسية لا تدرك من الأشياء إلا ظواهرها ، فإذا أدركت الإنسان فهى فى الحقيقة ما أدركت الإنسان ؛ لأنها ما أدركت إلا السطح الظاهر من جسمه ، وإلا اللون القائم بذلك السطح ، وبالاتفاق فليس الإنسان عبارة عن مجرد السطح واللون ، فالقوة الباصرة عاجزة عن النفوذ فى الباطن .

أما القوة العاقلة ، فإن باطن الأشياء وظاهرها بالنسبة إليها على السواء ، فإنها تدرك البواطن والظواهر ، وتغوص فيها وفى أجزائها ، فكانت القوة العاقلة نورا بالنسبة إلى الباطن والظاهر .

أما القوة الباصرة ، فهى بالنسبة إلى الظاهر نور وبالنسبة إلى الباطن ظلمة ، فكانت القوة العاقلة أشرف من القوة الباصرة .

التاسع : أن مدرك القوة العاقلة هو الله تعالى وجميع أفعاله ، ومدرك القوة الباصرة هو الألوان والأشكال ، فوجب أن تكون نسبة شرف القوة العاقلة إلى شرف القوة الباصرة كنسبة شرف ذات الله تعالى إلى شرف الألوان والأشكال .

العاشر : القوة العاقلة تدرك جميع الموجودات والمعدومات والماهيات التى هى معروضات الموجودات والمعدومات ، ولذلك فإن أول حكمه أن الوجود والعدم لا يجتمعان ولا يرتفعان ، وذلك مسبوق لا محالة بتصوّر مسمى الوجود ومسمى العدم ، فكأنه بهذين التصورين قد أحاط بجميع الأمور من بعض الوجوه .

وأما القوة الباصرة ، فإنها لا تدرك إلا الأضواء والألوان وهما من أحسن عوارض الأجسام ، والأجسام أحسن من الجواهر الروحانية .

فكان متعلق القوة الباصرة ، أحسن الموجودات وأما متعلق القوة العاقلة فهو جميع الموجودات والمعدومات ، فكانت القوة العاقلة أشرف .

الحادى عشر : القوة العاقلة تقوى على توحيد الكثير وتكثير الواحد ، والقوة الباصرة لا تقوى على ذلك .



أما أنّ القوة العاقلة، تقوى على توحيد الكثير فذلك لأنها تضمّ الجنس إلى الفصل، فيحدث منهما طبيعة نوعيّة واحدة. وأمّا أنّها تقوى على تكثير الواحد فلاّتها تأخذ الإنسان-وهي ماهيّة واحدة-فتقسمها إلى مفهوماتها وإلى عوارضها اللازمة وعوارضها المفارقة، ثمّ تقسم مقوماته إلى الجنس، وجنس الجنس، والفصل وفصل الفصل، وجنس الفصل وفصل الجنس، وإلى سائر الأجزاء المقومة التي لا تعدّ من الأجناس ولا من الفصول، ثمّ لا تزال تأتي بهذا التقسيم في كلّ واحد من هذه الأقسام حتّى تنتهي من تلك المركّبات إلى البسائط الحقيقية، ثمّ تعتبر في العوارض اللازمة أنّ تلك العوارض مفردة أو مركّبة، ولازمة بوسائط أو بوسط أو بغير وسط، فالقوة العاقلة كأنّها نفذت في أعماق الماهيات وتغلّغت فيها، وميّزت كلّ واحد من أجزائها عن صاحبه، وأنزلت كلّ واحد منها في المكان اللائق به.

فأمّا القوة الباصرة، فلا تطّلع على أحوال الماهيات، بل لا ترى إلاّ أمراً واحداً، ولا تدرى ما هو وكيف هو؟

فظهر أنّ القوة العاقلة أشرف.

الثاني عشر: القوة العاقلة تقوى على إدراكات غيرمتناهية، والقوة الحاسة لا تقوى على ذلك.

بيان الأول من وجوه: الأول: القوة العاقلة يمكنها أن تتوسّل بالمعارف الحاضرة إلى استنتاج المجهولات، ثمّ إنّها تجعل تلك النتائج مقدمات في نتائج أخرى لا إلى نهاية وقد عرفت أنّ القوة الحاسة لا تقوى على الاستنتاج أصلاً.

الثاني: أنّ القوة العاقلة تقوى على تعقل مراتب الأعداد ولا نهاية لها.

الثالث: أنّ القوة العاقلة يمكنها أن تعقل نفسها وأن تعقل أنّها عقلت، وكذا إلى غير النهاية.

الرابع: النّسب والإضافات غير متناهية، وهي معقولة لا محسوسة.

فظهر أنّ القوة العاقلة أشرف.

الثالث عشر: الإنسان بقوّة العاقلة يشارك الله تعالى في إدراك الحقائق، وبقوّة الحاسة يشارك البهائم والنّسبة معتبرة. فكانت القوة العاقلة أشرف.

الرابع عشر: القوة العاقلة غنيّة في إدراكها العقليّ عن وجود المعقول في الخارج والقوة الحاسة محتاجة في إدراكها الحسيّ إلى وجود المحسوس في الخارج. والغنى أشرف من المحتاج.

الخامس عشر: أن هذه الموجودات الخارجية ممكنة لذواتها وأنها محتاجة إلى الفاعل والفاعل لا يمكنه الإيجاد على سبيل الإتقان إلا بعد تقدم العلم، فإذا وجد هذه الأشياء في الخارج تابع للإدراك العقليّ وأما الإحساس بها فلا شك أنه تابع لوجودها في الخارج، فإذا القوة الحاسة تبع لتبع القوة العاقلة .

السادس عشر: القوة العاقلة غير محتاجة في العقل إلى الآلات، بدليل أن الإنسان لو اختلّت حواسه الخمس فإنه يعقل أن الواحد نصف الأثنين وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية . وأما القوة الحساسة فإنها محتاجة إلى آلات كثيرة والغنى أفضل من المحتاج .  
السابع عشر: الإدراك البصري لا يحصل إلا للشيء الذي في الجهات، ثم إنه غير متصرف في كل الجهات، بل لا يتناول إلا المقابل أو ما هو في حكم المقابل .

واحترزنا بقولنا في حكم المقابل عن أمور أربعة :

الأول: العرض فإنه ليس بمقابل؛ لأنه ليس في المكان ولكنّه في حكم المقابل لأجل كونه قائما بالجسم الذي هو مقابل .

الثاني: رؤية الوجه في المرأة، فإن الشعاع يخرج من العين إلى المرأة ثم يرتد منها إلى الوجه، فيصير الوجه مرئيا، وهو من هذا الاعتبار كالمقابل لنفسه .

الثالث: رؤية الإنسان قفاه إذا جعل إحدى المرأتين محاذية لوجهه والأخرى لقفاه .  
الرابع: رؤية ما لا يقابل بسبب انعطاف الشعاع في الرطوبات، كما هو مشروح في كتب المناظر .

وأما القوة العاقلة، فإنها مبرأة عن الجهات، فإنها تعقل الجهة والجهة ليست في الجهة، ولذلك تعقل أن الشيء إما أن يكون في الجهة، وإما أن لا يكون في الجهة، وهذا التردد لا يصح إلا بعد تعقل معنى قولنا ليس في الجهة .

الثامن عشر: القوة الباصرة تعجز عند الحجاب، وأما القوة العاقلة فإنها لا يحجبها شيء أصلا، فكانت أشرف .

التاسع عشر: القوة العاقلة كالأمير، والحاسة كالخادم، والأمير أشرف من الخادم، وتقرير [الفرق بين] الإمارة والخدمة مشهور .

العشرون: القوة الباصرة قد تغلط كثيرا، فإنها قد تدرك المتحرك ساكنا وبالعكس، كالجالس في السفينة، فإنه قد يدرك السفينة المتحركة ساكنا، والشط ساكن متحركا .  
ولولا العقل لما تميّز خطأ البصر عن صوابه . والعقل حاكم والحس محكوم .

فثبت بما ذكرنا، أن الإدراك العقليّ أشرف من الإدراك البصريّ، وكل واحد من



الإدراكين يقتضى الظهور الذى هو أشرف خواصّ النور، فكان الإدراك العقلى أولى بكونه نورا من الإدراك البصرى .

وإذا ثبت هذا، فنقول: هذه الأنوار العقلية قسمان:

أحدهما: واجب الحصول عند سلامة الأحوال وهى التعقّلات الفطرية .

والثانى: ما يكون مكتسبا وهى التعقّلات النظرية . أمّا الفطرية فليست هى من لوازم جوهر الإنسان؛ لأنه حال الطفولية لم يكن عالما ألبتة، فهذه الأنوار الفطرية إنما حصلت بعد أن لم تكن، فلا بدّ لها من سبب .

وأما النظرية، فمعلوم أنّ الفطرة الإنسانية قد يعترىها الزيغ فى الأكثر، وإذا كان كذلك فلا بدّ من هاد مرشد ولا مرشد فوق كلام الله وفوق إرشاد الأنبياء، فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل بمنزلة نور الشمس عند عين الباصرة إذ به يتمّ الإبصار، فبالحرى أن يسمّى القرآن نورا كما يسمّى نور الشمس نورا، فنور القرآن يشبه نور الشمس، ونور العقل يشبه نور العين .

وبهذا يظهر معنى قوله تعالى: ﴿فَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (التغابن: ٦٤: ٨) .

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَرَهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مَبِينًا﴾ (النساء: ٤: ١٧٤) .

وإذا ثبت أنّ بيان الرسول أقوى من نور الشمس وجب أن تكون نفسه القدسية أعظم فى التورانية من الشمس، وكما أنّ الشمس فى عالم الأجسام تفيد النور لغيره ولا تستفيده من غيره، فكذا نفس النبي ﷺ تفيد الأنوار العقلية لسائر الأنفس البشرية، ولا تستفيد الأنوار العقلية من شىء من الأنفس البشرية .

فلذلك وصف الله تعالى الشمس بأنها سراج حيث قال: ﴿وَجَعَلْ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان: ٢٥: ٦١) .

ووصف محمدا ﷺ بأنه «سراج منير» .

إذا عرفت هذا فنقول: ثبت بالشواهد العقلية والنقلية أنّ الأنوار الحاصلة فى أرواح الأنبياء مقبسة من الأنوار الحاصلة فى أرواح الملائكة .

قال تعالى: ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (النحل: ١٦: ٢) .

وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشعراء: ٢٦: ١٩٣) .

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (النحل: ١٦: ١٠٢) .

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم: ٥٣: ٤-٥) .

والوحي لا يكون إلا بواسطة الملائكة، فإذا جعلنا أرواح الأنبياء أعظم استنارة من

الشمس فأرواح الملائكة التي هي كالمعادن لأنوار عقول الأنبياء لا بد وأن تكون أعظم من أنوار أرواح الأنبياء؛ لأن السبب لا بد وأن يكون أقوى من المسبب .  
ثم نقول: ثبت أيضا بالشواهد العقلية والنقلية أن الأرواح السماوية مختلفة، فبعضها مستفيدة، وبعضها مفيدة .



قال تعالى في وصف جبرئيل عليه السلام: ﴿مطاع ثم أمين﴾ (التكوير (٨١): ٢١) وإذا كان هو مطاع الملائكة فالمطيعون لا بد وأن يكونوا تحت أمره .  
وقال: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ (الصفات (٣٧): ١٦٤) .

وإذا ثبت هذا، فالمفيد أولى بأن يكون نورا من المستفيد؛ للعلّة المذكورة .  
ولمراتب الانوار في عالم الأرواح مثال وهو: أن ضوء الشمس إذا وصل إلى القمر، ثم دخل فيكوة بيت ووقع على مرآة منصوبة على حائط، ثم انعكس منها إلى حائط آخر نصب عليه مرآة أخرى، ثم انعكس منها إلى طست مملوءة من الماء موضوع على الأرض، ثم انعكس منه إلى سقف البيت، فالنور الأعظم أولا في الشمس التي هي المعدن، وثانيا في القمر، وثالثا ما وصل إلى المرآة الأولى، ورابعا ما وصل إلى المرآة الثانية، وخامسا ما وصل إلى الماء، وسادسا ما وصل إلى السقف، وكل ما كان أقرب إلى منبع الأول، فإنه أقوى مما هو أبعد منه .

فكذا الأنوار السماوية لما كانت مرتبة لا جرم كان نور المفيد أشد إشراقا من نور المستفيد، ثم تلك الأنوار لا تزال تكون مترقية حتى تنتهي إلى النور الأعظم، والروح الذي هو أعظم الأرواح منزلة عند الله الذي هو المراد من قوله سبحانه: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ (النبأ (٧٨): ٣٨) .

ثم نقول: لا شك أن هذه الأنوار الحسية إن كانت سفلية كانت كأنوار النيران، أو علوية كانت كأنوار الشمس والقمر والكواكب، وكذا الأنوار العقلية، سفلية كانت كالأرواح السفلية التي للأنبياء والأولياء، أو علوية كالأرواح العلوية التي هي الملائكة، فإنها بأسرها ممكنة لذواتها .

والممكن لذاته يستحقّ العدم من ذاته والوجود من غيره، والعدم هو الظلمة الحاصلة، والوجود هو النور .

فكل ما سوى الله مظلم لذاته مستنيرة بإنارة الله تعالى، وكذا جميع معارفها بعد وجودها حاصل من وجود الله تعالى .

فالحق سبحانه هو الذي أظهرها بالوجود بعد أن كانت في ظلمات العدم، وأفاض





عليها أنوار المعارف بعد أن كانت في ظلمات الجهالة فلا ظهور لشيء من الأشياء إلا بإظهاره، وخاصة النور إعطاء الإظهار والتجلى والانكشاف .

وعند هذا يظهر أن التور المطلق هو الله سبحانه وأن إطلاق التور على غيره مجاز؛ إذ كل ما سوى الله فإنه من حيث هو هو ظلمة محضة؛ لأنه من حيث إنه هو عدم محض، بل الأنوار إذا نظرنا إليها من حيث هي هي ظلمات؛ لأنها من حيث هي هي ممكنات و الممكن من حيث هو هو معدوم، والمعدوم مظلم فالنور إذا نظر إليه من حيث هو هو ظلمة فأما إذا التفت إليها من حيث إن الحق سبحانه أفاض عليها نور الوجود فهذا الاعتبار صارت أنوارا .

فثبت أنه سبحانه هو التور وأن كل ما سواه فليس بنور إلا على سبيل المجاز .

ثم إنه «ره» تكلم بعد هذا في أمرين :

الأول : أنه سبحانه لم أضاف التور إلى السماوات والأرض؟ وأجاب فقال : قد عرفت أن السماوات والأرض مشحونة بالأنوار العقلية و [الأنوار] الحسية . أما الحسية فما يشاهد في السماوات من الكواكب والشمس والقمر، وما يشاهد في الأرض من الأشعة المنبسطة على سطوح الأجسام حتى ظهرت به الألوان المختلفة، ولولاها لم يكن للألوان ظهور بل وجود .

وأما الأنوار العقلية، فالعالم الأعلى مشحون بها، وهي جواهر الملائكة، والعالم الأسفل مشحون بها، وهي القوى النباتية والحيوانية والإنسانية .

وبالتور الإنساني السفلى ظهر نظام عالم السفلى كما بالتور الملكي ظهر نظام عالم العلو، وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (نور: ٢٤: ٥٥) وقال : ﴿وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (النمل: ٢٧: ٦٢) .

فإذا عرفت هذا عرفت أن العالم بأسره مشحون بالأنوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية، ثم عرفت أن السفلية فائضة بعضها من بعض، كفيضان التور من السراج، فإن السراج هو الروح النبوي، ثم إن الأنوار النبوية القدسية مقتبسة من الأرواح العلوية، اقتباس السراج من التور، وإن العلويات مقتبسة بعضها من بعض، وإن بينها ترتيبا في المقامات، ثم ترتقى جملتها إلى نور الأنوار ومعدنها ومنبعها الأول وأن ذلك هو الله وحده لا شريك له، فإذا الكل نوره، فلهذا قال : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

السؤال الثاني : فإذا كان الله هو التور فلم احتيج في إثباته إلى البرهان؟ أجاب فقال : إن معنى كونه نور السماوات والأرض معروف بالنسبة إلى التور الظاهر البصري، فإذا



رأيت خضرة الربيع في ضياء النهار فلست تشك في أنك ترى الألوان، فربما ظننت أنك لا ترى مع الألوان غيرها، فإنك تقول لست أرى مع الخضرة غير الخضرة إلا أنك عند غروب الشمس تدرك تفرقة ضرورية بين اللون حال وقوع الضوء عليه، وحال عدم وقوعه عليه، فلا جرم تعرف أن التور معنى غير اللون، يدرك مع الألوان إلا أنه كان لشدة اتحاده به لا يدرك ولشدة ظهوره يختفى وقد يكون الظهور سبب الخفاء. إذا عرفت هذا، فاعلم أنه كما ظهر كل شيء للبصر بالتور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله ونوره حاصل مع كل شيء لا يفارقه، ولكن بقي هاهنا تفاوت. وهو أن التور الظاهر يتصور أن يغيب بغروب الشمس ويحجب فحينئذ يظهر أنه غير اللون. وأما التور الإلهي الذي به يظهر كل شيء لا يتصور غيبته، بل يستحيل تغييره، فيبقى مع الأشياء دائما، فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة، ولو تصورت غيبته لانهدمت السماوات والأرض، ولأدرك عنده من التفرقة ما يحصل العلم الضروري به، ولكن لما تساوت الأشياء كلها على نمط واحد في الشهادة على وجود خالقها، وأن كل شيء يسبح بحمده لا بعض الأشياء، وفي جميع الأوقات لا في بعض الأوقات ارتفعت التفرقة وخفى الطريق؛ إذ الطريق الظاهر معرفة الأشياء بالأضداد، فما لا ضده ولا تغير له بتشابه أحواله فلا يبعد أن يخفى، ويكون خفائه لشدة ظهوره وجلاله. فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره، واحتجب عنهم بإشراق نوره.

واعلم أن هذا الكلام الذي روينا عن الشيخ الغزالي «ره» كلام مستطاب ولكن يرجع حاصله بعد التحقيق إلى أن معنى كونه سبحانه نورا أنه خالق للعالم، وأنه خالق للقوى الدراكة، وهو المعنى من قولنا معنى كونه نور السماوات والأرض أنه هادي أهل السماوات والأرض، فلا تفاوت بين ما قاله وبين الذي نقلناه عن المفسرين في المعنى والله اعلم.

### الفصل الثاني :

في تفسير قوله ﷺ: «إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره» وفي بعض الروايات «سبعمائة» وفي بعضها «سبعون ألفا». فأقول: لما ثبت أن الله سبحانه وتعالى متجل في ذاته لذاته كان الحجاب بالإضافة إلى المحجوب لا محالة، والمحجوب لا بد وأن يكون محجوبا إما بحجاب مركب

من نور وظلمة، وإما بحجاب مركّب من نور فقط، أو بحجاب مركّب من ظلمة فقط .  
 أمّا المحجوبون بالظلمة المحضّة، فهم الذين بلغوا في الاشتغال بالعلائق البدنيّة إلى  
 حيث لم يلتفت خاطرهم إلى أنه هل يمكن الاستدلال بوجود هذه المحسوسات على  
 وجود واجب الوجود أم لا؟ وذلك لأنك قد عرفت أنّ ما سوى الله تعالى من حيث هو  
 هو مظلم، وإثما كان مستتيرا من حيث إنّه استفاد النور من حضرة الله تعالى، فمن  
 اشتغل بالجسمانيّات من حيث هي و صار ذلك الاشتغال حائلا له عن الالتفات  
 إلى جانب النور كان حجابهم محض الظلمة، ولمّا كانت أنواع الاشتغال بالعلائق البدنيّة  
 خارجة عن الحدّ والحصر، فكذا أنواع الحجب الظلمانيّة خارجة عن الحدّ والحصر .

#### القسم الثاني : المحجوبون بالحجب الممزوجة من النور والظلمة؛

اعلم أنّ من نظر إلى هذه المحسوسات فيما أنّ يعتقد فيها أنّها غنيّة عن المؤثّر، أو  
 يعتقد فيها أنّها محتاجة، فإن اعتقد أنّها غنيّة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة .  
 أمّا النور، فالأنّه تصوّر ماهيّة الاستغناء عن الغير، وذلك من صفات جلال الله تعالى،  
 وهو من صفات النور .

وأما الظلمة، فالأنّه اعتقد حصول ذلك الوصف في هذه الأجسام، مع أنّ ذلك الوصف  
 لا يليق بهذا الوصف وهذا ظلمة .

فثبت أنّ هذا حجاب ممزوج من نور وظلمة .

ثمّ أصناف هذا القسم كثيرة، فإنّ من الناس من يعتقد أنّ الممكن غنيّ عن المؤثّر،  
 ومنهم من يسلم ذلك لكنّه يقول المؤثّر فيها طبائعها، أو حركاتها أو اجتماعها  
 وافتراقها، أو نسبتها إلى حركات الأفلاك، أو إلى محركاتها، وكلّ هؤلاء من هذا القسم .

#### القسم الثالث : الحجب النورانيّة المحضّة،

واعلم أنّه لا سبيل إلى معرفة الحقّ سبحانه إلاّ بواسطة تلك الصّفات السلبيّة والإضافيّة  
 ولا نهاية لهذه الصّفات ولمراتبها، فالعبد لا يزال يكون مترقيًا فيها، فإن وصل إلى درجة  
 وبقي فيها كان استغراقه في مشاهدة تلك الدرّجة حجابا له عن التّرقى إلى ما فوقها، ولمّا  
 كان لا نهاية لهذه الدرجات كان العبد أبدا في السّير والانتقال .

وأما حقيقته المخصوصة، فهي محتجبة عن الكلّ، فقد أشرنا إلى كيفيّة مراتب  
 الحجب، وأنت تعرف أنّه ﷺ إنّما حصرها في سبعين ألفا تقريبا لا تحديدا فإنّها لا  
 نهاية لها في الحقيقة .

### الفصل الثالث: فى شرح كيفة التمثيل

اعلم أنه لا بد فى التشبيه من أمرين: المشبه والمشبه به، واختلف الناس هاهنا فى أن المشبه أى شىء هو؟ وذكروا وجوها:

أحدها: وهو قول جمهور المتكلمين ونصره القاضى أن المراد من الهدى التى هى الآيات البيّنات، والمعنى أن هداية الله تعالى قد بلغت فى الظهور والجلء إلى أقصى الغايات، وصارت فى ذلك بمنزلة المشكاة التى تكون فيها، زجاجة صافية، وفى الزجاج مصباح يتقدّر بزيت بلغ النهاية فى الصفاء.

فإن قيل: لم شبهه بذلك وقد علمنا أن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير؟

قلنا: إنه سبحانه أراد أن يصف الضوء الكامل الذى يلوح [فى] وسط الظلمة، لأن الغالب على أوام الخلق وخيالاتهم إنما هو الشبهات التى هى كالظلمات، وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذى يظهر فيما بين الظلمات، وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس؛ لأن ضوءها إذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص، وإذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل هاهنا أليق وأوفق.

واعلم أن الأمور التى اعتبرها الله تعالى فى هذا المثل مما توجب كمال الضوء.

فأولها: المصباح؛ لأن المصباح إذا لم يكن فى المشكاة تفرقت أشعته، أما إذا وضع فى المشكاة اجتمعت أشعته، فكانت أكثر إنارة، والذى يحقق ذلك أن المصباح إذا كان فى بيت صغير، فإنه يظهر من ضوءه أكثر مما يظهر فى البيت الكبير.

وثانيها: أن المصباح إذا كان فى زجاجة صافية فإن الأشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاج إلى البعض؛ لما فى الزجاج من الصفاء والشقافية، وبسبب ذلك يزداد الضوء والنور، والذى يحقق ذلك أن شعاع الشمس إذا وقع على الزجاج الصافية تضاعف الضوء الظاهر حتى أنه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء، فإن انعكست تلك الأشعة من كل واحد من جوانب الزجاج إلى الجانب الآخر كثرت الأنوار والأضواء، وبلغت النهاية الممكنة.

وثالثها: أن ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقدّر به، فإذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حالته بخلاف حالته إذا كان كدرا، وليس فى الأدهان التى توقد ما يظهر فيه من الصفاء مثل الذى يظهر فى الزيت، فربما يبلغ فى الصفاء والرقعة مبلغ الماء مع زيادة بياض فيه، وشعاع يتردد فى أجزائه.

ورابعها: أن هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته، فإذا كانت لا شرقية ولا



غريبة، بمعنى أنها كانت بارزة للشمس في كل حالاتها، يكون زيتونها أشد نضجا، فكان زيتته أكثر صفاء وأقرب إلى أن يتميز صفوه من كدره؛ لأن زيادة الشمس تؤثر في ذلك، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا، فيصلح أن يجعل مثلا لهداية الله تعالى .

وثانيها: أن المراد من التور في قوله ﴿مثل نوره﴾ القرآن، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ (المائدة: ٥) : (١٥) وهو قول الحسن وسفيان بن عتيبة وزيد بن اسلم . وثالثها: أن المراد هو الرسول؛ لأنه المرشد، ولأنه تعالى قال في وصفه: ﴿وسراجا منيرا﴾ (الأحزاب: ٣٣) : (٦٦) وهو قول عطاء .

وهذان القولان داخلان في القول الأول؛ لأن من جملة أنواع الهداية إنزال الكتب وبعثة الرسل .

قال تعالى في صفة الكتب: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ (الشورى: ٤٢) : (٥٢) .

وقال في صفة الرسل: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (النساء: ٤) : (١٦٥) .

ورابعها: أن المراد منه ما في قلب المؤمنين من معرفة الله تعالى ومعرفة الشرائع، ويدل عليه أن الله تعالى وصف الإيمان بأنه نور، والكفر بأنه ظلمة، فقال: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ (الزمر: ٣٩) : (٢٢) .

وقال تعالى: ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ (ابراهيم: ١٤) : (١) وحاصله أنه حمل الهدى على الاهتداء، والمقصود من التمثيل أن إيمان المؤمن قد بلغ في الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ السراج المذكور، وهو قول أبي ابن كعب، وابن عباس مثل نوره في قلب المؤمن .

وخامسها: ما ذكره الشيخ الغزالي وهو أنا بينا أن القوى المدركة أنوار ومراتب القوى المدركة الإنسانية خمسة :

أحدها: القوة الحساسة، وهي التي تتلقى ما تورده الحواس الخمس، وكأنها أصل الروح الحيواني وأوله، إذ به يصير الحيوان حيوانا، وهو موجود للصبى الرضيع .

وثانيها: القوة الخيالية وهي التي تستنبت ما أورده الحواس وتحفظه مخزونا عندنا، لتعرضه على القوة العقلية التي فوقها عند الحاجة إليه .

وثالثها: القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية .

ورابعها : القوة الفكرية وهي التي تأخذ المعارف العقلية فتؤلفها تأليفاً ، فتستنتج من تأليفها علماً بمجهول .

وخامسها : القوة القدسية التي تختصّ بها الأنبياء وبعض الأولياء ، وتتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ (الشورى (٤٢) : ٥٢) .



\*\*\*

وإذا عرفت هذه القوى ، فهي بجملتها أنوار ؛ إذ بها تظهر أصناف الموجودات وأن هذه المراتب الخمسة يمكن تشبيهها بالأمر الخمسة التي ذكرها الله تعالى : وهي المشكاة ، والزجاجة ، والمصباح ، والشجرة ، والزيت .

أما الأول : وهو الروح الحساس ، فإذا نظرت إلى خاصيته وجدت أنواره خارجة من عدة أثقب ، كالعينين والأذنين والمنخرين و أوفق مثال له من عالم الأجسام المشكاة .  
وأما الثاني : وهو الروح الخيالي ، فنجد له خواصاً ثلاثة :

الأولى : أنه من طينة العالم السفلي الكثيف ؛ لأن الشيء المتخيل ذو قدر وشكل وحيز ومن شأن العلائق الجسمانية أن تحجب عن الأنوار العقلية المحضة التي هي التعلقات الكلية المجردة .

والثانية : أن هذا الخيال الكثيف إذا صفى ورق وهذب صار موازناً للمعاني العقلية ، ومؤدياً لأنوارها وغير حائل عن إشراق نورها ، ولذلك فإن المعبر يستدل بالصور الخيالية على المعاني العقلية ، كما يستدل بالشمس على الملك ، والقمر على الوزير ، وبمن يختم فروج الناس وأفواههم على أنه مؤذن يؤذن قبل الصبح .

والثالثة : أن الخيال في بداية الأمر محتاج إليه جداً ليضبط بها المعارف العقلية ولا تضطرب ، فتعم المثالات الخيالية الجالبة للمعارف العقلية .

وأنت لا تجد شيئاً في الأجسام يشبه الخيال في هذه الصفات الثلاثة إلا الزجاجة فإنها في الأصل من جوهر كثيف ولكن صفى ورق حتى صار لا يحجب نور المصباح ، بل يؤديه على وجهه ، ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة .

وأما الثالث : وهو القوة العقلية ، فهي القوية على إدراك الماهيات الكلية والمعارف الإلهية ، فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح ، وقد عرفت هذا حيث يتنا كون الأنبياء سرجاً منيرة .



وأما الرابع: وهو القوة الفكرية، فمن خواصها أنها تأخذ ماهية واحدة، ثم تقسمها إلى قسمين، كقولنا «الموجود إما واجب وإما ممكن»، ثم تجعل كل قسم مرة أخرى قسمين، وهكذا إلى أن تكثر الشعب بالتقسيمات العقلية، ثم تفضى بالآخرة إلى نتائج، وهي ثمرتها، ثم تعود فتجعل تلك الثمرات بذورا لأمثالها حتى تتوَدَى إلى ثمرات لا نهاية لها، فبالحرى أن يكون مثاله من هذا العالم الشجرة.

وإذا كانت ثمارها مادة لتزايد أنوار المعارف ونباتها، فبالحرى أن لا يمثل بشجرة السفرجل والتّمّاح، بل بشجرة الزيتون خاصة؛ لأن لب ثمرتها هو الزيت الذى هو مادة المصاييح، وله من بين سائر الأدهان خاصية زيادة الإشراق وقلة الدخان.

وإذا كانت الماشية التى يكثر درها ونسلها والشجرة التى تكثر ثمرتها تسمى مباركة، فالذى لا يتناهى إلى حدّ محدود أولى أن يسمى شجرة مباركة.

وإذا كانت شعب الأفكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الأجسام، فبالحرى أن تكون لا شرقية ولا غربية.

وأما الخامس: وهو القوة القدسية النبوية، فهى فى نهاية الشرف والصفاء، فإن القوة الفكرية تنقسم إلى ما يحتاج إلى تعليم وتنبه، وإلى ما لا يحتاج إليه، ولا بد من وجود هذا القسم قطعاً للتسلسل، فبالحرى أن يعبر عن هذا القسم بكماله وصفائه، وشدة استعداده بأنه ﴿يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار﴾ فهذا المثال موافق لهذا القسم. ولما كانت هذه الأنوار مرتبة بعضها على بعض، فالحسن هو الأول وهو كالمقدمة للخيال، والخيال كالمقدمة للعقل، فبالحرى أن تكون المشكاة، كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح.

وسادسها: ما ذكره أبو على سينا فإنه نزل هذه الأمثلة الخمسة على مراتب إدراكات النفس الإنسانية، فقال: «لا شك أن النفس الإنسانية قابلة للمعارف الكلية والإدراكات المجردة، ثم إنها فى أول الأمر تكون خالية عن جميع هذه المعارف، فهناك تسمى عقلاً هيولياً، وهى المشكاة، وفى المرتبة الثانية يحصل فيها العلوم البديهية التى يمكن التوصل بتركيبها [بتركيباتها] إلى اكتساب العلوم النظرية، ثم إن أمكنة الانتقال إن كانت ضعيفة، فهى الشجرة، وإن كانت أقوى من ذلك، فهى الزيت، وإن كانت شديدة القوة جداً، فهى الزجاجة التى تكون ﴿كأنها الكوكب الدرى﴾ وإن كانت فى النهاية القصى وهى النفس القدسية التى للأنبياء، فهى التى ﴿يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار﴾ وفى المرتبة الثالثة يكتسب من العلوم الفطرية الضرورية العلوم النظرية إلا أنها لا



تكون حاضرة بالفعل، ولكنها تكون بحيث متى شاء صاحبها استحضارها قدر عليه، وهذا يسمّى عقلاً بالفعل وهو [هذا] المصباح، وفي المرتبة الرابعة أن تكون تلك المعارف الضرورية والنظرية حاصلة بالفعل، ويكون صاحبها كأنه ينظر إليها، وهذا يسمّى عقلاً مستفاداً، وهو ﴿نور على نور﴾ لأن الملكة نور وحصول ما عليه الملكة نور آخر». ثم زعم أن هذه العلوم التي تحصل في الأرواح البشرية إنما تحصل من جوهر روحاني يسمّى بالعقل الفعّال، وهو مدبّر ما تحت كرة القمر وهو النار. وسابعها: قول بعض أهل الكشف كما سبق نقله<sup>١</sup>.

وثامنها: قول مقاتل [حيث قال]: «مثل نوره، أي مثل نور الإيمان في قلب محمد ﷺ كمشكاة فيها مصباح، فالمشكاة نظير صلب عبد الله، والزجاجة نظير جسد محمد ﷺ والمصباح نظير الإيمان في قلب محمد ﷺ أو نظير النبوة في قلبه».

وتاسعها: قول قوم: «المشكاة نظير إبراهيم ﷺ، والزجاجة نظير إسماعيل ﷺ، والمصباح نظير جسد محمد ﷺ، والشجرة النبوة والرسالة».

وعاشرها: أن قوله ﴿مثل نوره﴾ يرجع إلى المؤمن وهو قول أبي ابن كعب، وكان يقرأها مثل نور المؤمن، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك.

واعلم أن القول الأول هو المختار؛ لأنه تعالى ذكر قبل هذه الآية ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات مبينات﴾ (نور: ٢٤: ٣٤)، فإذا كان المراد بقوله: ﴿مثل نوره﴾ أي مثل هدايته، كان ذلك مطابقاً لما قبله، ولأنّنا لما فسّرنا قوله: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ بأنّه هادى أهل السماوات والأرض، فإذا فسّرنا قوله: ﴿مثل نوره﴾ بأن المراد مثل هدايته، كان ذلك مطابقاً لما قبله.

انتهى كلام الإمام الفخر الرازي.

### تكميل: [في تأويل آية النور]

واعلم أنّ ما يخطر ببالي ويشهد عليه كلام من له اعتمادى في كل الأحوال ﷺ في تأويل آية النور غير ما ذكر من الأقوال ونستعين من الله في تقريره وتحريه.

أمّا على وجه الإجمال، فنقول: إنّ قوله تعالى: ﴿الله نور السموات﴾ الآية إشارة إلى

١. نقل المصنّف هذا القول باختصار ولكن كان نقله في التفسير (ص ٢٣٤ و ٢٣٥) في سنّه أسطر مفصلاً فراجع.

٢. التفسير الكبير، ج ٢٣، ص ٢٢٣-٢٣٥.





أنوار أربعة عشر هكذا؛ بأن قوله: ﴿اللَّهُ نور السموات والأرض﴾ إشارة إلى نور خاتم الأنبياء الذي بين لأُمَّته أحكام النَّدب والفرص، وأشرق بنور نبوته أقطار الآفاق والأنفس، كما قال ﷺ: «أول ما خلق الله نوري»<sup>١</sup> وكما في الزيارة الجامعة «أنفسكم في القموس»<sup>٢</sup> وقوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾ إشارة إلى وصيه، وعين سروره، و وارث علومه، ومصداق «سلوني قبل أن تفقدوني»،<sup>٣</sup> أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب ﷺ

وقوله: ﴿كمشكوة فيها مصباح﴾ إشارة إلى فلقة الإصباح الباكية في كل مساء وصباح، العبادة آناء الليل وأطراف الصباح، فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.

وقوله: ﴿المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري﴾ إشارة إلى ريحاني الرسول البدرى الشهيدين، الذي بنوريهما تهدي البرى والبحرى كالفرقدين، الحسن والحسين صلوات الله عليهما ملاً الخافقين.

وقوله: ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ إشارة إلى ذى الشجرة الميمونة، التي هي بالإمامة مقرونة، وبالعز والكرامة مشحونة، زين العابدين وإمام الساجدين عليه صلوات الله الملك الحق المبين.

وقوله: ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ إشارة إلى المعلمين للسنة الرضية، والمرشدين إلى الأخلاق المرضية، محمد الباقر وجعفر الصادق، الهاديين إلى طريق الرشد صلوات الله عليهما إلى يوم التناد.

وقوله: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ إشارة إلى الإمام الزكى الرضى، والبدر الكامل المضىء، موسى الكاظم عليه صلوات الله الملك العالم.

وقوله: ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ إشارة إلى سيد الأبرار، الضامن لمن زاره جئات تجرى من تحتها الأنهار، المسموم بيد الفاجر الغدار، على الرضى عليه صلوات الله العلى.

وقوله: ﴿نور على نور﴾ إشارة إلى ثلاثة من الأئمة، الذين هم لسماء الإمامة بدور، ولشيعتهم قرّة أعين وسرور، محمد التقي، وعلى التقي، والحسن العسكري صلوات الله عليهم مادام البرارى والصخور.

وقوله: ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ إشارة إلى من يعجز نعته قلم الإنشاء، ويظهر الله في

١. عوالى اللغالى، ج٤، ص٩٩، ح١٤٠؛ بحار الأنوار، ج١، ص١٠٥؛ ج١٥، ص٢٤، ح٤٤؛ ج٢٥، ص٢٢، ح٣٨.

٢. مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة الكبيرة.

٣. التوحيد، ص٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧.

أرضه متى شاء، وهو حجة الله على خلقه، الإمام المهديّ عجل الله فرجه وسهّل الله مخرجه .  
اللهم اهدنا الصراط المستقيم، واحفظنا من الشيطان الرجيم، وارزقنا بمعرفة الأمثال  
لنستقيم، فإنك قلت في كتابك الكريم ﴿ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾  
(النور(٢٤): ٣٥).



### التأويل على وجه التفصيل

فنعول: إن قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ إشارة إلى نور محمد ﷺ، يعنى  
نور محمد نور السماوات والأرض؛ لأنه نور الأئمة في مراتب الأنوار، والله تعالى نور الأنوار  
وفي مقام التعبير يقال: ﴿الله نور السموات والأرض﴾؛ لأنّ نوره ﷺ فان في نوره تعالى، و  
الفانى ليس له حكم على حياله، فنوره ﷺ نور الله، ولهذا أسند الله نور السموات والأرض  
إلى نفسه، وهذا الإطلاق في مقام الوحدة .

وأما في مقام الكثرة، قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري»، وهو أول إشراق  
الحق وتجليه، ولهذا صار نور السموات والأرض - سواء كان سماوات الأرواح والأشباح،  
أو سماوات الأجسام الظاهرة وسواء كان أرض المجردات، أو أرض الماديات - وقال رسول  
الله ﷺ: أيضا «أول ما خلق الله القلم»<sup>١</sup> و«أول ما خلق الله اللوح»، وهذين الأولين بالنسبة  
إلى ما دونهما؛ لأنّ باطن القلم في مقام التأويل على بن أبي طالب ﷺ، وباطن اللوح فاطمة  
الزهراء ﷺ، والقلم في مقام الفاعل، واللوح في مقام القابل .

وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم(٦٨): ١) «القلم» في التأويل  
على ﷺ و«النون» فاطمة و«ما يسطرون» الأئمة ﷺ من ولد فاطمة ﷺ، لأنّ العلى كتب في  
لوح فاطمة، والمكتوب الأئمة ﷺ، لأنّ الأئمة كلهم منطو في الإمامين النورين،  
الحسن والحسين، المسطورين في الفاطمة ﷺ .

والمراد من الصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾  
(البقره(٢): ٢٣٨) هي صلاة المغرب ظاهرا،<sup>٢</sup> وفي وقت أدائها تفتح أبواب السماء ويجب

١. عوالى اللئالى، ج٤، ص٩٩، ح١٤٠؛ بحار الأنوار، ج١، ص١٠٥؛ ج١٥، ص٢٤، ح٤٤؛ ج٢٥، ص٢٢، ٣٨ .

٢. نور الثقلين، ج٥، ص٣٨٩؛ سنن الترمذى أى الجامع الصحيح، ج٥، ص٤٢٤، فى تفسير سورة القلم .

٣. لم أجده فى كتب الروائى وان كان فى بعض كتب الحكمى والتفسيرى موجوداً مثل تفسير القرآن الكريم للحكيم صدرالدين  
الشيразى، ج٤، ص١٣٣ .

٤. الدر المنثور، ج١، ص٣٠٥، والروايات فى تفسير الآية ومعنى الصلاة الوسطى كثيرة مختلفة فراجع أيضاً تفسير نور الثقلين  
ج١، ص٢٣٧؛ تفسير العياشى، ج١، ص١٢٧ و١٢٨؛ الصافى والبرهان و... .



التعجيل بها لقوله ﷺ «عجلوا بالمغرب» وأما في الباطن فهي فاطمة الزهراء ﷺ؛ لأن صلوات الخمس بالحقيقة هم السادات الخمس: «فالظهر» رسول الله ﷺ، «والعصر» أمير المؤمنين ﷺ، و«المغرب» فاطمة الزهراء ﷺ؛ لأن الله تعالى أمر المكلفين بالمحافظة على حبها وحب عترتها، فصغروا قدرها، وحقروا عظيم أمرها لما غربت عنها شمس النبوة، والحال أن النبي ﷺ حصر رضاه في رضاها، فقال: «والله يا فاطمة لا يرضى الله حتى ترضى ولا أرضى حتى ترضى»<sup>١</sup> ومعنى هذا الرمز أن فاطمة ﷺ ينبوع الأسرار، وشمس العصمة، ومقر الحكمة، كما أن المشكاة محل الأنوار.

وفي الآية الشريفة قوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾ إشارة إلى علي ﷺ و﴿المشكاة﴾ إلى فاطمة ﷺ.

ومن هنا يعلم أن فاطمة إذا غضبت على شخص فقد غضب عليه الرسول ﷺ، والولي ﷺ، ومن غضب عليه النبي والولي ﷺ فهو الشقيّ كل الشقيّ.

فإذا عرفت ما ذكرنا عرفت أحوال المشايخ الماضين من أصحاب الرسول ﷺ فافهم، ولا تغفل، ولا تكن من الجاهلين.

و«صلاة العشاء» الحسن المجتبي ﷺ، حيث احتجب عنه نور النبي والولي وهو المصباح. و«صلوة الصبح» الحسين الشهيد ﷺ وهو ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾، لأنه ﷺ بذل نفسه في مرضات الله حتى أخرج نور الحق والشريعة من بين الباطل فهو ﷺ صار ﴿كأنها كوكب دري﴾ ولولاه ﷺ لعم الظلام إلى يوم القيام.

### تحقيق عرفاني: [هل أسماء الإلهية ترجع إلى اسم واحد؟]

اعلم يا حبيبي! أن هنا مسألة عرفانية لا بد أن نذكرها حتى تنكشف لك حقيقة الحال.

مسألة: هل الأسماء الإلهية ترجع إلى اسم واحد؟

قلت: نعم الأسماء الإلهية كلها ترجع إلى اسم واحد وهو لفظ الله؛ لأنه جامع لشمليها، وشامل لجميعها، متجلى في آحادها؛ لأنه اسم للذات المستجمع لجميع الصفات والكمال.

وهكذا يرجع جميع الموجودات من المجردات والماديات إلى موجود واحد، فهو أول

١. بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٨٥، ح ٣١؛ ج ٤٣، ص ٤٩، ح ٤٦.



الموجودات في عالم الإيجاد، ونهاية المخلوقات في العود إلى المعاد .  
كما أنّ ابتداء الحروف «التقطعة» كذلك نهاية الحروف هي «التقطعة» ، فتناهت كلمات الله  
في كتابه التكويني بأسرها إلى الحروف ، والحروف إلى التقطعة ، فدلّت الكلمات على  
الحروف ، والحروف على التقطعة ، ودلّت التقطعة على الذات الأحديّة .

وهذه التقطعة هي الفيض الأول الصادر عن الحقّ الأزل ، المسمّى في أفق العظمة  
والجمال بالعقل الأول ، كما قال الرسول ﷺ : «أول ما خلق الله العقل»<sup>١</sup> وذاك هو الحضرة  
المحمّديّة ﷺ ، كما قال : «أول ما خلق الله نوري»<sup>٢</sup> .

فالتقطعة هي الأصل في عالم الخلق كما قال عليّ عليه السلام في آخر الحديث : «أنا نقطة الباء»<sup>٣</sup> .  
ويؤيده قول الرسول ﷺ حيث قال : «أنا وعلىّ من نور واحد»<sup>٤</sup> .

وكما قال أهل الفلسفة : التقطعة هي الأصل ، والجسم حجاب ، والصورة حجاب الجسم ،  
والحجاب غير الجسد الناسوتي ، ودليله من صريح الآيات قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ﴾ ، فالله اسم للذات ، والنور من صفات الذات ، والحضرة المحمّديّة صفة الله  
وصفوته ، فهو صفة الله في عالم النور وصفوته في عالم الظهور .  
فثبت أنه ﷺ هو النور الأول ، كما قال ﷺ : «أنا من الله والكلّ منّي»<sup>٥</sup> .

وكما قال أيضا ممّا رواه أحمد بن حنبل : «كنت وعلىّ نورا بين يدي الرحمان قبل أن  
يخلق عرشه بأربع عشر الف عام»<sup>٦</sup> .

فمحمّد وعلىّ حجاب الحضرة الإلهيّة ونوابها وخزان أسرار الربوبية وأبوابها ، بل الأنوار  
الأربعة عشر كلّها حجاب الله وأبوابه . وأمّا كونهم حجابا ؛ فلأنّهم اسم الله الأعظم بقوله :

١ . من لا يحضره الفقيه ، ج ٤ ، ص ٣٦٩ ، ح ٥٧٦٢ ، باب النوادر ؛ عوالي اللئالي ، ج ٤ ، ص ٩٩ ، ح ١٤١ ، وفي موارد مختلفة  
من البحار وقال المجلسي «ره» في بحار الأنوار ، ج ٥٧ ، ص ٣٠٩ : «وأما خبر «أول ما خلق الله العقل» فلم أجده في طرقنا وإنّما  
هو من طرق العامة...» وهو كما ترى ؛ لأنّ الصدق ذكر في الفقيه بإسناده عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ؛ عن جدّه ، عن عليّ بن  
أبي طالب عليه السلام ، عن النبي ﷺ هذا الخبر .

٢ . بحار الأنوار ، ج ١ ، ص ١٠٥ ؛ ح ١٥ ، ص ٢٤ ، ح ٤٤ ؛ ج ٢٥ ، ص ٢٢ ، ح ٣٨ ؛ عوالي اللئالي ، ج ٤ ، ص ٩٩ ، ح ١٤٠ .

٣ . بحار الأنوار ، ج ٤٠ ، ص ١٦٥ ، ح ٥٤ .

٤ . الكافي ، ج ١ ، ص ٤٤٢ ، ح ٩ ؛ عوالي اللئالي ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ، ح ٢١١ ؛ ص ٣٦-١ ، باب بدو أرواحهم... وأنهم من نور  
واحد من أبواب خلقهم... .

٥ . علم اليقين للفيض الكاشاني ، ص ٦٠٨ ؛ مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسي ، ص ٦٥ .

٦ . بحار الأنوار ، ج ١٥ ، ص ٢٤ ، ح ٤٢ .



«نحن الأسماء الحسنى». <sup>١</sup> والكلمة التي تجلّى فيها الربّ بقوله «نحن الكلمات التامات لسائر العالم»، <sup>٢</sup> لأنّ بالكلمة تجلّى الصانع للعقول، وبها احتجبت عن العيون، سبحان من تجلّى لخلقه بخلقه حتّى عرفوه، ودلّ بأفعاله على صفاته حتّى وحدوه، ودلّ بصفاته على ذاته حتّى عبده.

وأما كونهم أبوابا، فلأنّهم أبواب المدينة الإلهية التي أودعها مبدعها نقوش الخلائق، وأسرار الخلائق، فهم ﷺ كعبة الجلال التي تطوّف بها المخلوقات، ونقطة الكمال التي تنتهي إليها الموجودات، والبيت المحرّم الذي يتوجّه إليه سائر البريات؛ لأنّهم أول بيت وضع للناس، فهم الأبواب والحجاب والنواب وأمّ الكتاب وفصل الخطاب، وإليهم يوم المآب، وإليهم عند الجبار الحساب، فهم حجاب اللاهوت ونواب الجبروت، وأبواب الملكوت ووجه الحيّ الذي لا يموت، كما قال ﷺ «نحن وجه الله». <sup>٣</sup>

فإن قلت: إنّ ما ذكرته مخالف لتفسير الأئمة حيث فسّروا قوله ﴿اللّه نور السمّوات والأرض﴾ بمنور السمّوات والأرض، وهادى أهل السمّوات والأرض.

قلت: أولا: أنّ ما ذكرناه ليس تفسيراً، بل تأويل وفي التأويل مجال. وأما ثانياً: فنقول: إنّ ما ذكرناه ليس مخالفاً للتفسير، بل مطابق له؛ لأنّهم هم الهداة والدعاة إلى الله، والنور المشرق من حضرة الأزل، ومنهم بدأ العالم، وبهم ختم، وهم المعاد في المعاد للعباد عند زلّة القدم، فهم مصابيح الظلم ومفاتيح الحكم وينابيع النعم.

فإن شئت إثبات هذه المطالب فاقراء الزيارة مع التدبّر حتّى تنكشف لك حقيقة الحال. فإذا علمت أنّ الموجودات كلّها ينتهي إلى النقطة التي هي صفة الذات تعالى وعلّة غائيّة للموجودات، فاعلم أنّ لها في التسمية عبارات: وهي النور المحمّدي من قوله ﷺ «أول ما خلق الله نوري» <sup>٤</sup> ومن حيث إنّها أول الموجودات صادرة عن الله بغير واسطة سمّيت بالعقل الأوّل، ومن حيث إنّ الأشياء تجد منها قوّة التعقل سمّيت بالعقل الفعّال، ومن حيث إنّ العقل فاض منها إلى جميع الموجودات، فادركت به حقائق الأشياء سمّيت بالعقل الكلّ.

١. الكافي، ج ١، ص ١٤٤، باب النوادر من كتاب التوحيد، ح ٤.

٢. مقدمة مرآة الأنوار مقدّمة تفسير البرهان، ص ١٠٩ روى: «أنهم الكلمات التامات»

٣. الكافي، ج ١، ص ١٤٥، باب النوادر من كتاب التوحيد، ح ٧، وص ١٤٣، ح ٢.

٤. عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٩٩، ح ١٤٠؛ بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠٥؛ ج ١٥، ص ٢٤، ح ٤٤؛ ج ٢٥، ص ٢٢، ح ٣٨.

فعلم بواضح البرهان أنّ الحضرة المحمّديّة هي نقطة النور، وأوّل الظهور، و حقيقة الكائنات، ومبدء الموجودات، فهي ظاهر الإسم الأعظم، وصورة سائر العالم، وعليها مدار من كفر وأسلم، فروحه ﷺ نسخة الأحديّة في اللاهوت، وجسده صورة معاني الملك والملكوت، وقلبه معدن علمه الذي لا يموت .



فكلّ ناطق بلسان الحال والمقال شاهد لله بالوحدانية الأزليّة، ولمحمّد ﷺ وعلى ﷺ بالأبوة، دليله قوله ﷺ «أنا وعلى أبوا هذه الأمة» وإذا كانا أبوا هذه الأمة دلّ بالالتزام أن يكونا أبوا سائر الأمم، لدلالة الخاصّ على العامّ، والأعلى على الأدنى من غير عكس، فلولاها لم يكن خلق أبدا لاختصاصه بـ«لولاك ما [لما] خلقت الأفلاك»<sup>٢</sup>.

### حكمة ربّانية: [في مظاهر أسماء الله]

اعلم أنّ الصّفات الإلهيّة سبعة: الحياة، والعلم، لقدرة، والإرادة، التكلّم، والجود، والإقسط . ولها أسماء الحيّ، والعليم والقادر، والمريد، والمتكلّم، والجواد، والمقسط . وللأربعة الأول من هذه الأسماء أربعة مظاهر في العالم العلويّ، فمظهر الحياة إسرافيل، ومظهر العلم جبرائيل، ومظهر القدرة عزرائيل، ومظهر الإرادة ميكائيل . ولهذه الأسماء السبعة سبعة مظاهر كوكبيّة في العالم السفليّ، فمظهر تجلّي الحياة الشّمس، ومظهر تجلّي العلم المشتري، ومظهر تجلّي القدرة المريخ، ومظهر تجلّي الإرادة الزهرة، ومظهر تجلّي الكلام القمر، ومظهر تجلّي الجود زحل، ومظهر تجلّي الإقسط العطارد . والأسماء هي المؤثّرة فيما تحتها من العوالم لكن بواسطة هذه المظاهر، كما تقتضيه الحكمة الأزليّة من ترتيب الأسباب على المسبّبات، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وأوحى في كلّ سماء أمرها﴾ (فصلت (٤١): ١٢).

وكذلك الأنبياء، فإنّهم مظاهر أسماء الله، فمن كان منهم مظهر اسم كلّى كانت شريعته كليّة وجميع الأسماء الإلهيّة ترجع إلى الاسم الجامع الذي هو «الله» وكذلك جميع الأنبياء ترجع إلى هذه السبعة وهي: آدم، وإدريس، وإبراهيم، ويوسف، وموسى، وهارون، وعيسى . ومرجع هذه السبعة إلى الاسم الجامع الواحد وهو «محمّد» ﷺ .

١. عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ٢، ص ٨٥ و٨٦؛ بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٦٤، ج ٦٦؛ ج ٢٣، ص ١٢٨، ج ٥٩ .  
٢. بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٨، ج ٤٨؛ ج ٥٧، ص ١٩٩، ج ١٤٥ عن كتاب الأنوار وفي معاني الأخبار، ص ٣٥١؛ «ولولا هما [أي محمد بن عبد الله ﷺ وعلى بن أبي طالب ﷺ] ما خلقت خلقي» .



فأدم مظهر الاسم المتكلم، وللتكلم فيه أثر تام، وفلكه فلك القمر وهو بيت العزة، وفيه جوامع الكلم الطيب. وإدريس مظهر اسم الحى، وللحى فيه أثر تام، وفلكه فلك الشمس التى هى منبع الحياة الحيوانية والنباتية، ومن ثم اعطى العلم بأسرار المعادن والنبات. وإبراهيم مظهر اسم الجواد، وللجواد فيه أثر تام، وفلكه فلك زحل، وهو أول من أطعم الضيف. ويوسف مظهر اسم المرید، وللجميل فيه أثر تام، وفلكه فلك الزهرة. وموسى مظهر اسم القادر والقوى، وللشديد فيه أثر عظيم، وفلكه فلك المريخ. وهارون مظهر اسم العليم والأمر والنهى، وللعليم فيه أثر تام، وفلكه فلك المشتري. وعيسى مظهر اسم المقسط، وللحكيم فيه أثر عظيم، ولذلك ﴿أبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى﴾ (آل عمران: ٤٩: ٣)، و فلكه فلك العطار.

ومحمد ﷺ له جملة هذه الأفلاك والأسماء والأعداد، فهو مظهر اسم الجامع، وفلكه فلك قاب قوسين أو أدنى، فهو جامع الأسرار، ومظهر الأنوار، وجامع الكلم، فهو كلّ الكلم، وجملة الجمال، وخلاصة الأكوان وخاصة الرّحمان. وهذه المقامات المذكورة كلّها جارية في الأنوار الباقية من أربعة عشر، كما ورد في الحديث: «أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد، وكلنا محمد ﷺ» (فصلت: ٤١: ١٢).<sup>١</sup>

### تبصرة نورانية: [فى مقامات المعصومين ﷺ]

اعلم أنّ الواحد صدر عن الأحد، وبواسطته صدر سائر العدد، كما أنّ الحروف صدر بواسطة النّقطة عن الكاتب، والكلام عن الحروف، والمعانى عن الكلام، والكلّ من الواحد، والواحد من الأحد.

فالنّقطة الواحدة هى حقيقة الموجودات، ومبدء الكائنات، وقطب الدّائرات، وعالم الغيب والشّهادة، ظاهرها النبوة وباطنها الولاية وهما نور واحد فى الظّاهر والباطن، لكنّ الولاية من النبوة؛ لأنّهما الاسمين الأعلىين الذين جمعا فاجتمعا، ولا يصلحان إلاّ معا فيفرقان محمد وعلى، ويوصفان فيجتمعان نبيّ ووليّ.

وتمام الوليّ من النبيّ؛ لأنّ نور القمر مستفاد من الشمس، فإذا غابت الشمس كان الحكم للقمر إذا كان بدرا، وإليه الإشارة فى قوله «خلق الله السّموات فى يومين»<sup>٢</sup>.

١. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٦، ح ١؛ ص ١٦، ح ٢.

٢. الكافى، ج ٨، ص ١٤٥، ح ١١٧، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «إنّ الله خلق الخير يوم الأحد... وخلق السماوات يوم الأربعاء ويوم الخميس...»

وإلى هذا المعنى أشار بقوله ﷺ:

أول ما خلق الله نوري، ثم فتق منه نور عليّ فلم تتردد في حَتَّى وصلنا إلى حجاب العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم خلق الخلائق من نورنا فنحن صنائع الله والخلق من بعد صنائع لنا.<sup>١</sup>



أى مصنوعين لأجلنا. ويؤيد ما ذكرناه ما روى الأعمش، عن ابن مسعود، عن عبد الرحمان السلمى عن أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ:

أطلبوا الشمس، فإذا غابت فالقمر، فإذا غاب فاطلبوا الزهرة، فإذا غابت فالفرقدين فقلنا: يا رسول الله من الشمس والقمر؟ فقال: أنا شمس الوجود، من نوري تستمد الأنوار، وعليّ القمر منه تشرق ظلام الأسحار، والزهرة فاطمة سيّدة الأطهار، والفرقدان الحسن والحسين وجوه الأخيار، والتسعة من عترة الحسين بقيّة الأبرار، سلام الله عليهم أجمعين.<sup>٢</sup>

فهؤلاء الذين رفعت لهم أعلام الخضر وراياته، ووقعت لهم أحكام النصّ وآياته. وفي تأويل قوله تعالى: ﴿طه﴾ والله يعلم إشارة إلى أربعة عشر من المعصومين. ﴿طه﴾ يعنى أقسم بالأربعة عشر من المعصومين، لأنّ الطاء تسعة «والهاء» خمسة، وفيه دلالة على ما قال ﷺ: «أولنا محمد، أو سطنا محمد، وآخرنا محمد، وكلنا محمد ﷺ».<sup>٣</sup>

### تحقيق عرشى: [فى حقيقة الاسماء]

اعلم يا حبيبي! أنك قد عرفت أنّ النور اسم من أسماء الله تعالى، فاعلم أنّ الاسم يطلق ويراد به اللفظ الموضوع للذات، كلفظ الجلالة «الله»، أو للذات مع صفة من الصفات، كالحىّ والعالم والقادر وغيرها، ويطلق ويراد به المفهوم المحمول على الذات، ويطلق ويراد به فى لسان أهل الحقيقة حقيقة وجود الذات الإلهية باعتبار صفة كمالية معها لا على اللفظ فقط، أو المفهوم العقليّ خاصّة، فاللفظ اسم الأسم، بل اسم اسم الاسم، فقول القائل: عباراتنا شتى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير<sup>٤</sup>

١. بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٢، ح ٣٨؛ ج ٥٧، ص ١٧٠، ح ١١٧؛ وآخر الحديث كان فى نهج البلاغة فى كتابه ﷺ إلى معاوية، الرقم ٢٨.

٢. معانى الأخبار، ص ١١٤، باب معنى الشمس والقمر والزهرة والفرقدين.

٣. مجموعة الرسائل للحكيم السيزوارى، ص ٨٦٠.

٤. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٦، ح ١؛ ص ١٦، ح ٢.





يشمل الألفاظ والمفاهيم؛ لجواز حمل المفاهيم الكثيرة على وجود واحد .  
وبهذا المعنى الأخير قال تعالى : ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى (٨٧) : ١) .  
وعلى هذا المعنى يقال : «الاسم عين المسمى» ، والحق في المقام أن يقال : «إن الاسم  
عين المسمى بوجه وغيره بوجه» .

فإنه إذا لوحظ حقيقة الوجود الصرف غير ملحوظ معها صفة من الصفات فهي حقيقة  
المسمى التي لا اسم ولا رسم لها ، وربما تسمى باللاتعيين المحض .  
وإذا لوحظ معها صفة من الصفات مثل أن حقيقة الوجود ظاهرة بالذات ومظهرة للغير  
الذي هو الحقائق الماهيات ، فهي اسم التور .

وإذا لوحظ أن حقيقة الوجود ما به الانكشاف ؛ أي حضور الذات للذات ، وحضور  
الوجودات للحقيقة بالذات على وجه أعلى وأتم ، وحضور الماهيات و الأعيان الثابتات  
لها بالتبع ، فهي اسم العليم .

وإذا لوحظ أنها العشق و المحبة لذاتها ولآثار ذاتها بالعرض ، فهي اسم المرید والشائي  
والراضى وما يرادفها .

وإذا لوحظ أنها نور فياض الأنوار القاهرة ، والأنوار الإسفهدية والأنوار العرضية ، بل  
نور الوجود المنبسط عن علم ومشية ، فهي اسم القدير .  
وإذا لوحظ أنها الدراكة الفعالة ، فهي اسم الحى .

وإذا لوحظ أن الوجود المنبسط إعراب عما في الضمير ، ومعروفية الكنز المخفى ، وظهور  
الغيب المكنون والسر المصون ، وأنه النفس الرحمانى المتقاطع فى المنازل الثمانية  
والعشرين ؛ أعنى العقل الكلى ، والنفس الكلية ، والأفلاك التسعة ، والأركان الأربعة ،  
والمواليد الثلاثة ، وعالم المثال ، والمقولات التسع العرضية ، فهي اسم المتكلم ، وقس عليه  
سائر الأسماء .

وبالجمله نفس تلك الحقيقة التي هي الوجود البحت الملحوظ بلا تعين هي الذات  
البيسطة ، وكل تعين نورى صفة من الصفات العليا ، ومجموع الوجود مع التعين التورى  
اسم من الأسماء الحسنى .

فالفرق بين الصفة والاسم كالفرق بين البسيط والمركب ، و كالفرق بين مبدء الاشتقاق  
والمشتق ، فالعلم والقدرة صفة والعليم والقدير اسم .



و أيضا يطلق الاسم والصفة الفعلية على العقول الكلية والنفوس الكلية الإلهية .  
ومنه ما ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام «نحن الأسماء الحسنى والصفات العلية» .<sup>١</sup>  
بل يطلق على كل وجود، لأن الأسم من السمة، أى العلامة، والوجودات الآفاقية  
والأنفسية جميعا آياته وعلاماته تعالى إلا أن الاسم الكامل هو الاسم الأعظم والكلمة  
الأتم؛ لأنه مظهر جامع لمظاهر كل الأسماء، وهو مظهر اسم الجلالة أعنى «الله» .  
والمظهر من حيث هو مظهر فان فى الظاهر وكل موجود فهو مظهر لاسم من الأسماء  
الحسنى، كالملائكة للسبوح والقدوس والسلام ونحوها، والشياطين للمضل والمتكبر  
والعزیز والجبار وما يجرى مجراها، والحيوانات مظاهر للسميع والبصير والحيّ والقدير  
وأشباهها، والفلك للدائم والربّ والرقيع وأمثالها، والنار للقهّار، والهواء للنفّاح والمفرّج  
والمرتاح، والماء للمحيى، والأرض للخافض والصبّور، والنبات للمقيت، والأدوية النافعة  
للنّافع، والضّارة للضارّ، وقس عليه .

وأما الإنسان الكامل فهو مظهر كل الأسماء كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا  
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قالوا سبحانك  
لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم\* قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم  
بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم  
تكتُمون\* (البقرة ٢): (٣١-٣٣) .

فهذا التعليم والتعلم وجودى فعلى بالنسبة إلى الأسماء الوجودية، فتعلمه صيرورته مظهرا  
لجميع الأسماء الحسنى ومرآتا لكلها، وكذا إذا أريد أسماء الموجودات فالمراد إيداع الكل  
فيه . «وفيك انطوى العالم الأكبر» .<sup>٢</sup>

فقد وضع محل النزاع فى أن الاسم عين المسمى أو غير المسمى وقد قيل تحير نحارير  
الفضلاء فى تحرير محل البحث حتى قال الإمام الرازى فى تفسيره الكبير: «إن هذا البحث  
يجرى مجرى العبث» .<sup>٣</sup> وفى كلام البيضاوى فى تفسيره إيماء إلى هذا أيضا؛ لأنه إن أريد المعنى  
فلا شك أنه عينه، وإن أريد اللفظ أو المفهوم، فلا ريب أنه غير المسمى فلا فائدة للنزاع .  
أقول: إذا عرفت الاسم الوجودى عرفت العينية بالذات، والغيرية بالإطلاق، والتعيين

١ . لم نجد هذه الرواية بتمامها، نعم روى فى الكافى ج ١، ص ١٤٣، الحديث ٤؛ «نحن الأسماء الحسنى» .

٢ . ديوان امام على عليه السلام، ص ٢٣٦، الرقم ١٥٨ .

٣ . هكذا فى كتاب مجموعة الرسائل، ص ٨٦٢ ولكن قال الأستاذ المحقق السيد جلال الدين الاشتيانى فى حاشيته: «الصحیح  
كما فى نسخة ١ . ق وتفسير الكبير للامام الغير المرضى: العبث أى الباطل والامام غافل عن أساس مسألة الأسماء الإلهية  
ونحو وجودها وتحققها ولا يعلم أن علم الاسماء علم به فاق أبونا آدم على الملائكة .



أو العينية مصداقا، والغيرية مفهوما، كما في الوجود و الماهية .  
بل أقول: للتزاع وجه . وإن أريد اللفظ أو المفهوم العنوانى ؛ إذ للشئ وجود عينيّ ،  
ووجود ذهنيّ ، ووجود لفظيّ ، ووجود كتبيّ ، والثلاثة الأخيرة لا يباين الوجود العينيّ إذا  
جعلتها مرآئى لحاظه وكانت عنواناته ووجوهه .

ووجه الشئ هو الشئ بوجه ، ألا ترى أنّ الشمس التي في ذهنك سيّما إذا تصوّرتها  
بعنوانها المطابق بأن فحصت وبحثت وحققت أنّها ما هي وهل هي ولم هي ؟ - كما هو  
شأن الحكيم الموافق وضعه للطبع - لا يباين الشمس الخارجية ، ويسرى أحكامها إليها ، وكذا  
لفظها ، أو كتبها الملحوظ بنحو مراتب اللّحاظ - كالمعنى الحرفيّ - لا ملحوظا بالذات .  
فالثلاثة بهذا النّظر عنوانات فانية في المعنون غير ملتفت إليها من حيث هي هي ، بل  
ملتفت إليها من حيث هي مرآئى لحاظ وجودها العينيّ ، فهي من هذه الحيثية هو ، ولا من  
هذه الحيثية غيره ، ولهذا يقال : «وجه الشئ هو الشئ بوجه» .

وقد يقال : أسماء الله تعالى لا هو ولا غيره ، فإذا كان هذا هكذا في الوجوه البعيدة و  
الأسامى اللفظية و الكتبية فما حدسك في الوجوه القريبة والأسامى الحقيقية ، أى حقيقة  
الوجود من حيث تعين نوريّ هو عين الحقيقة ذاتا وتحققاً .

وإذا عرفت هذه ، فاعرف أنّ الاسم الأعظم اسم يشتمل معناه على جميع معانى الأسماء الحسنى  
الإلهية ؛ لأنّ الوحدة الجمعية حقّ الوحدة «ويد الله مع الجماعة» وليس في الأسماء الإلهية ما له  
هذا الاشتمال والجمعية إلّا لفظ «الله» من الأسماء البسيطة ، «والحيّ القيوم» من الأسماء المركّبة .  
أمّا لفظ الجلالة فالألسنة متّفقة على أنّ «الله» اسم للذات المستجمعة لجميع الكمالات ،  
وهو اسم الذات تعالى شأنه .

وأما الحيّ القيوم فالحيّ مشتمل على جميع أسماء الصفات الذاتيّة ، ولهذا عند تفصيل  
أئمة الأسماء وهي السبعة المشهورة عند العرفاء الشامخين ومتكلمى الملبين يقدّم ، فيقال :  
الحيّ العليم المرید القدير السميع البصير المتكلم ، فالحيّة مشتملة على العلم والإرادة ،  
والقدرة والإدراك والتكلم .

وأما القيوم فمعناه مبالغة في القيام بالذات ، إذ لا قيام صدورىّ له بفاعل ؛ لأنّه مبدء  
المبادى ، وفاعل الفواعل ، وفوق الفوق ، فلا فوق له ولا قيام حلولى له بقابل ؛ إذ لا ماهية له



- كما للعقول- فكيف المادة بمعنى المتعلق- كما للنفوس- أو المادة بمعنى المحل- كما للصور الجسميّة- أو المادة بمعنى الموضوع- كما للأعراض-؟

وإذا كان له من القيام بالذات أبلغه وأكده، فله الإقامة والإدامة لوجودات الموجودات، فمفهومه القائم بالذات بنحو أبلغ وأتمّ، ومدلوله الالتزامى المقيم للموجودات بشرائها، فهو مشتمل على جميع الأسماء الإضافية كالخالقية والمبدعية والمخترعية والمنشائية والمكوّية والوجود والكرم والرحمة والمصورّية والرازقية وأشباهاها.

فالعبد الذّاكر لا بدّ وأن يذكر ذات الله باسمه الأعظم حتّى يكشف معانى جميع صفاته وأسمائه ويتحقّق بها، ويؤدّي التعلّق إلى التخلّق والتحقّق، فعند ذلك ذكر الله تعالى باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى.

وقد ورد أنّ من دعاه بغير لحن أجابه. واللحن ليس مجردّ اللحن فى اللفظ، بل عدم التحقّق والتخلّق، أو التحقّق والتخلّق بالمخالفات، وعدم الاستدعاء بلسان الاستعداد، كأن يقول الداعى: «ياعليم ارزقنى علما نافعا» ولا يطلب العلم الحقيقى بشرائطه ولا يتفكّر ولا يذر الشّهوات ولا يجالس أهله، فهذا دعاء ملحون وصاحبه مغبون، وقس عليه باقى الدّعوات والحرمان عن الإجابات.

ويؤيّد قول سيّد الموحّدين علىّ بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه فى حديث التورانية «قد أعطانا الله ربّنا من علمنا للاسم الأعظم»<sup>١</sup>.

وحقّ الإعطاء إيّاهم تصيّرهم مظهرًا لاسمه الأعظم متحقّقًا بهم فإنّهم أعظم المظاهر ومظهر جامع لكلّ المظاهر، كما قال الحقيقة المحمّديّة عليه السلام: «أوتيت جوامع الكلم»<sup>٢</sup> أى بحسب التكوين والتدوين.

وكيف لا يعطى الحقيقة العلوية والكلمة التامة المرتضوية الاسم الأعظم؟ وهى كلام الله الناطق، جامع الجوامع، مجمع الكلمات من الكلمة الأدمية، والكلمة التوحّية، والكلمة الإبراهيمية، والكلمة الموسوية، والكلمة العيسوية، كما أتى فى الكلمة المصطفوية:

من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، وإلى نوح فى تقواه وإلى إبراهيم فى خلّته، وإلى موسى فى هيئته، وإلى عيسى فى عبادته، فلينظر إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام.<sup>٣</sup>

١. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٧، ح ١.

٢. بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٢٧٤؛ ج ٨٣، ص ٢٧٧.

٣. كشف الغمّة، ج ١، ص ١١٤؛ فى بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٣٩، ح ١٠.



وقال ﷺ «على مع الحق والحق مع على»<sup>١</sup>.  
وعدد هذا القول بحساب الجمل الكبير هكذا «٧٢٤» وبحساب الوسط هكذا «٧٦»  
والصغير هكذا «٤»، وعدد التور بحساب الجمل الكبير في قوله تعالى ﴿مثل نوره﴾ هكذا  
«٢٥٦» والوسط هكذا «٣١» والصغير هكذا «٤».  
فقوله ﷺ: «على مع الحق والحق مع على» مطابق للتور في قوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾  
في العدد الصغير.

### إشارة عرفانية في قوله ﷺ: «معرفتي بالتورانية معرفة الله»<sup>٢</sup>.

اعلم أنّ مراده من المعرفة التورانية نورانية الوجود، أي معرفتي بأنّي وجود منبسط ظلّ  
الله، ذو وحدة جمعية ووحدة حقة ظلّية للوحدة الحقّة الحقيقية لا وحدة عددية، كوحدة  
الماء الواحد، أو النار الواحدة، أو غير ذلك من المحدودات الوضعية معرفة الله تعالى؛ لأنّ  
معرفة الظلّ والعكس - من حيث هو ظلّ وعكس - معرفة ذى الظلّ والعاكس؛ إذ لا وجود  
لهما بهذه الحثيية إلا من ذى الظلّ والعاكس، وليس وجود العكس بهذا النّظر إلاّ ظهور  
العاكس، أو مرآت لحاظه.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿لم تر إلى ربك كيف مدّ الظل﴾ (فرقان: ٢٥: ٤٥) ولم يقل إلى  
ظل ربك تنبيها على أنّ رؤية الظلّ من حيث هو ظلّ ليست رؤية الظلّ؛ إذ لا وجود له إلاّ  
ظهور ذى الظلّ فليست إلاّ رؤيته.

وأیضا معرفة وجودی بحیثیة الوجود، وهو الوجود المنبسط، وأحد ألقاب الوجود المنبسط  
«رحمة للعالمين»، والحقيقة المحمّدية التي هي متّحدة مع الحقيقة العلوية في مقام الولاية  
المطلقة. «كنت أنا وعلى نورا بين يدي الله فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور...»<sup>٣</sup> معرفة

١. مناقب آل ابی طالب لابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٦٢ في روايات مختلفة؛ بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ١٩٠ و ٣٦٨.  
وليعلم أنّ هذا البحث من أول تحقيق عرشى [في حقيقة الأسماء] إلى هنا مأخوذ من كلام الحكيم السبزواري فراجع مجموعة  
الرسائل، ص ٨٥٩-٨٦٦.

٢. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١؛ وقد أفرد الحكيم السبزواري رسالة مستقلة في شرح هذا الحديث، راجع مجموعة رسائل  
السبزواري، ص ٧٦١-٨٧٧.

٣. هكذا عبارة المنصف وهي مأخوذة من شرح حديث العلوي للحكيم السبزواري المطبوع في كتاب مجموعة الرسائل ص ٨٢١،  
ولكنّ الصواب أن هذا النور بعد جعله في صلب عبدالمطلب قسم بنصفين، فجعل نصفه في صلب عبدالله ونصفه الآخر في  
صلب أبي طالب فراجع بحار الأنوار، ج ١٥، ص ١١، ح ١٢، ص ١٢، ح ١٤ و ١٥، وص ١٣، ح ١٦، وص ٢٤، ح ٤٢.

اللَّهِ؛ لأنَّ حَيْثِيَّةَ الوجودِ كاشفةٌ عن الوجودِ . فإنَّها حَيْثِيَّةُ الامتناعِ عن العدمِ ، سيِّما نورِ الوجودِ المنبسطِ الخالي عن ظلمةِ الماهيةِ والمادةِ ، وقد ظهر أنَّ المقابلَ لا يقبلُ المقابلَ . وأيضاً معرفتي بالمعنى والروحانيَّةِ التي هي الجهةُ المقدَّسةُ التَّورانيَّةُ ؛ إذ الرُّوحُ نورُ قاهرٍ ، أو نورٌ إسْفَهْدٌ مدبِّرٌ - لا بالصَّورةِ - معرفةُ اللهِ . ونعم ما قيل :



اي بسا كس را كه صورت راه زد  
قصد صورت كرد و بر الله زد<sup>١</sup>  
وبعد التَّفطُّنِ بالمعنى والروحانيَّةِ معرفتي بأنِّي أنا الرُّوحُ الأعظمُ ، والتَّنفسُ الكليَّةُ الإلهيَّةُ ، والعقلُ الكليُّ المحمَّديُّ في مقامِ الولايةِ المطلقةِ ، لا العقلُ الجزئيُّ . ونعم ما قيل : «عقلُ جزويُّ عقلُ رابِدٍ نامِ كرد»<sup>٢</sup> ، لأنَّه كقطرةٍ من بحرِ وجودِ روحهِ الأعظمِ ، بل شيعتهُ الخَلصُ يحصلُ لهم كليَّةٌ باتِّباعهِ ووراثتهُ ، هو ينبوعُ العقلِ وأبو الأرواحِ كما أنَّ آدمَ أبو البشرِ والأشباحِ ،

وإني وإن كنت ابن آدم صورة  
فلي فيه معنى شاهد بأبوتِّي<sup>٣</sup>  
معرفةُ اللهِ ؛ لأنَّ الرُّوحَ الأعظمَ والعقلَ الكليَّ والتَّنفسَ الكليَّةَ الإلهيَّةَ في العائداتِ والخواتمِ بمنزلةِ ما في البداياتِ والفواتحِ كلِّها حياةٌ بحياةِ اللهِ لا بإحيائه ، باقيةٌ ببقاءِ اللهِ لا بإبقائه ، وقس عليه ؛ لأنَّ الموادَّ والاستعداداتِ والحركاتِ والأزمنةَ والجهاتِ ، وبالجملةِ ما يبدي السَّوائِيَّةَ ، ويبيِّنُ الغيريَّةَ منتفيةً عن المجرَّداتِ ، وهي علمُ اللهِ ، ومشيَّةُ اللهِ ، وقدرةُ اللهِ ، وكلمةُ اللهِ .

وقد ورد «أَنْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ اللَّهِ النَّاطِرَةَ ، وَأُذُنَهُ الْوَاعِيَةَ ، وَيَدُهُ الْبَاسِطَةَ»<sup>٤</sup> .  
فذلك الإنسانُ الكاملُ إذا عقلته لا تقف على مقامِ صورته وجسده ، فإنَّه كمدرَّةٌ في بِيءِ نورِ روحهِ الغيرِ المحدودِ إلَّا بالنُّورِ الأقهرِ الواجبيِّ الغيرِ المتناهي شدةً وإن عدَّت من صقعِ روحهِ ، بل تذكرُ معناه الجامعُ ، وروحهِ الواسعُ ، وأنَّه بروحهِ لا يسعه هذا المقامُ الضيقُ الطَّبيعيُّ ، بل مقامه أعلى مراتبِ الملكوتِ ، وزمانه أعلى مراتبِ الدَّهرِ الأيمنِ الأعلى ، وإن كان بجسده المطهَّرِ في هذا المكانِ ، وهذا الزمانُ :

وقال الحكماءُ :<sup>٥</sup> «نسبةُ المتغيَّرِ إلى المتغيَّرِ زمانٌ ، ونسبةُ المتغيَّرِ إلى الثَّابتِ دهرٌ ، ونسبةُ

١ . المثنوي ، ص ١٤١ ، س ٣ .

٢ . نفس المصدر ، ص ٤٥٣ ، س ١ .

٣ . مجموعة الرسائل ، ص ٨٢١ .

٤ . بحار الأنوار ، ج ١٠٠ ، ص ٣٠٥ ، نقله عن السيِّد بن طاووس في مصباح الزائر ؛ التوحيد ، باب النوادر ، ح ٧ و ٨ .

٥ . مجموعة الرسائل ، ص ٨٢٢ .

الثابت إلى الثابت سرمد» .

فإذا شرحت الإنسان الكامل بجوهر لاهوتيّ، وجوهر جبروتيّ، وجوهر ملكوتيّ، وجوهر ناسوتيّ، وجدت كلاً في وعائه، فهو بلاهوتيّته في عالم اللاهوت، و بجبروتيّته في عالم الجبروت، وهكذا .

وهذا من جامعيتّه ومظهريّةته للصفات التنزيهيّة والتشبيهيّة ومن كمال الكامل وجدانه الوجود الناقص مثل أن من كمال وجود العالم - بمعنى جميع ما سوى الله - وجود هذا العالم الدائر السيّال فيه، ولولاه فيه لكان ناقصا .

ولهذا ولكون الرّسول جالسا في الحدّ المشترك بين الوحدة والكثرة قال تعالى : ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ (الأنعام: ٩) .

وبالجملّة معرفة محمدّ وعلىّ وأولاده سلام الله عليهم أجمعين بأن يعرف روحانيّتهم، وأنهم الرّوح الأعظم والعقل الكلّيّ أوّلا وآخرا؛ إذ العقول الكلّيّة في الصعود والقوس العروحيّ بإزاء العقول الكلّيّة في القوس النزوليّ؛ إذ النفوس الكلّيّة الإلهيّة بعد الغناء التام عن الأبدان والأشباح تكون مجردة في ذاتها وفعلها عن الموادّ .

كيف وهم في الأبدان قد نضوها وفعلوا أفعالا بلا استعمال موادّ وحاجة إلى جوارح بمجرد الهمة والعلم الفعليّ .

فالعقل الكلّيّ فاتحة كتاب الوجود الإمكانيّ وخاتمته وهو المتحرك الغير المتحرك بإذن الله تعالى لجميع النفوس السّماوية والأرضيّة والقوى والطّبائع .

وإلى هذا ناظر ما في الزيارة الجامعة «إن ذكر الخير كنتم أوّله» يعني إن ذكر الوجود الإمكانيّ «كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه» .<sup>١</sup>

وما فيها أيضا «ذكركم في الذّاكرين، وأسمائكم في الأسماء، وأجسادكم الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس» .<sup>٢</sup>

وما في الزيارة الجواديّة «وبهم سكنت السّواكن وتحركت المتحركات» .<sup>٣</sup> والحاصل أنّ المعرفة التي ذكرناها في حقّ الأنوار الأربعة عشر معرفة الله، لأنهم أسمائه الحسنی وكلماته التامات، والاسم علامة المسمّى، بل الاسم عين المسمّى بوجه وغير



١ . من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٦، الرقم ٣٢١٣؛ ومفاتيح الجنان الزيارة الجامعة .

٢ . نفس المصدر .

٣ . بحار الأنوار، ج ١٠٢، ص ٥٤، الرقم ١١، عن أبي جعفر الجواد (عليه السلام) في زيارة مولانا وسيدنا أبي الحسن الرضا (عليه السلام) .

المسمى بوجه - كما عرفت - والكلمة معرّبة عمّا في ضمير المتكلم والحق سبحانه ﴿يحقّ الحقّ بكلماته﴾<sup>١</sup> فتدبر .

إذا عرفت ما تلونا عليك فلنرجع إلى ما كتنا بصدده ونقول : يحتمل أن يكون المراد في مقام التأويل من المشكاة «الفاطمة» باعتبار ملاحظة اللَّفْظ ؛ لأنّ لفظ الفاطمة مركّب من خمسة أحرف وكذلك المشكاة مركّب من خمسة أحرف ، وباعتبار ملاحظة المحل ؛ لأنّ المشكاة محلّ ظهور النور وكذلك الفاطمة محلّ لظهور أنوار الأحد عشر من الأئمة ؛ لأنهم عليهم السلام من ولدها .



﴿فيها مصباح﴾ يعني بعد المشكاة المصباح وهو الحسن المجتبي .

﴿المصباح في زجاجة﴾ ؛ لأنّ الزجاجة بعد المصباح كما أنّ الحسين عليه السلام بعد الحسن ، لأنّ الحسين ﴿كوكب دري﴾ في العالم ؛ لأجل شهادته ، ولانكسار قلبه في مصيبة ولده وأخيه كما قال عليه السلام : «الآن انكسر ظهري»<sup>٢</sup> وكما أنّ الزجاجة يقبل الانكسار كذلك قلبه يقبل الانكسار ، بل انكسر قلبه الظاهر ظاهرا وارتفع والتام قلبه باطنا ، وبانكسار ظهره ظهرت الشريعة المصطفوية وصار ﴿كأنها كوكب دري﴾ في قلب شيعته ، ولولاه لما ظهرت الشريعة المحمدية والمحبة العلوية ، ولما امتاز المحبّ من العدو والمؤمن من المنافق . قوله : ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ إشارة إلى زين العابدين عليّ بن الحسين ، لأنّ عدد حروف قوله : ﴿يوقد﴾ إلى آخره اثنان وعشرون حرفا وكذلك عدد حروف زين العابدين عليّ بن الحسين اثنان وعشرون حرفا ، فإذا تطابق الحروف يحتمل أن يكون من قوله تعالى : ﴿يوقد﴾ إلى آخره هو عليه السلام مع ألقابه الثلاثة وهي : زين العابدين ، وحبيب ، وسجاد ؛ لأنّ اسمه ثلاثة أحرف وألقابه الثلاثة تسعة عشر حرفا والمجموع من الاسم والألقاب اثنان وعشرون حرفا .

وقوله : ﴿لا شرقية﴾ إشارة إلى الإمام الخامس محمد الباقر عليه السلام ؛ لأنّ حروف ﴿لا شرقية﴾ ثمانية وحروف اسمه مع لقبه أيضا ثمانية ، فالمطابقة بين الحروف ثابتة ، وأيضا عدد كبير ﴿لا شرقية﴾ هكذا «٦٤٦» وعدد الوسط هكذا «٧٠» وعدد الصغير هكذا «٧» وهذا العدد الصغير مطابق لعدد الصغير من مجموع عدد اسمه عليه السلام مع اللقبين من ألقابه عليه السلام وهما

١ . مجموعة الرسائل للحكيم السبزواري ، ص ٨٢٠-٨٢٤ . فإنّ هذا البحث من أول «إشارة عرفانية في قوله : «معرفتي بالنورانية معرفة الله» إلى هنا نقل عنه مع تلخيص وتصرف ما في عيائه ، والآية في سورة الانفال (٨) : ٧ ، والشورى (٤٢) : ٢٤ .  
٢ . بحار الأنوار ، ج ٤٥ ، ص ٤٢ ؛ ج ٤١ ، ص ٢٣٢ .





باقر العلوم والهادى ، ومجموع عدد الكبير من الاسم واللّقبين المذكورين هكذا «٥٩٣» وعدد الوسط هكذا «١٦» وعدد الصّغير هكذا «٧» وهذا التّطابق حاصل بين اسمه ولقبه وبين قوله تعالى : ﴿ لا شرقية ﴾ فافهم .

وقوله : ﴿ ولا غربية ﴾ إشارة إلى الإمام السادس جعفر الصّادق ؛ لأنّ عدد حروف هذه الكلمة ثمانية بحساب ياء المشدّدة ، اثنين مطابق لعدد حروف اسمه مع لقبه ﷺ وهما جعفر وصادق وقوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضىء ﴾ إشارة إلى اسم الإمام السّابع وهو موسى ﷺ مع لقب واحد من ألقابه ﷺ وهو ضارب ، ومع كنية واحدة من كناه وهي أبو العلى ؛ لأنّ عدد كبير قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضىء ﴾ بدون حساب الياء المنقلبة من الواو في « يضىء » هكذا «١٢٦٩» مطابق لعدد كبير اسمه ﷺ مع لقبه وكنيته هكذا «١٢٦٩» ، فإن أردت أن تحسب فاحسب كلّ واحد منها واجمع بين الأعداد حتّى تعرف حقيقة المقال . فنقول : إنّ عدد كبير موسى ﷺ هكذا «١١٦» وعدد كبير لقبه وهو ضارب هكذا «١٠٠٣» وعدد كبير كنيته وهي أبو العلى هكذا «١٥٠» فإذا جمعت هذه الأعداد صار هكذا «١٢٦٩» . وأيضا أنّ عدد صغير ﴿ يكاد زيتها يضىء ﴾ مطابق لعدد الصّغيرين من اللّقبين من ألقابه ﷺ وهما أمين وكاظم ، وذلك لأنّ عدد صغير قوله تعالى هكذا «١٨» وعدد صغير أمين هكذا «٢» وعدد صغير كاظم هكذا «١٦» ، فإذا جمعت الصّغيرين من اللّقبين صار هكذا «١٨» فإن أردت أن تعلم المطابقة فاحسب كلّ واحد منهما مع الكبير والوسط والصّغير حتّى تبين لك ما ذكرناه ، فافهم .

وقوله : ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ إشارة إلى الإمام الثّامن الضّامن ، ووجهه أنّ النّار على ثلاثة أحرف واسمه ﷺ أعني عليّاً أيضا على ثلاثة أحرف ، وبوجه آخر أنّ مكان النّار أعلى من مكان سائر العناصر وكذا اسمه ﷺ يدلّ على علوّ شأنه ومرتبته ؛ لأنّ العلى مشتق من العلو ، ولهذا استدلّ بعض العلماء بأفضليّة الأئمة الأربعة عن الباقيين ، أعني على بن أبي طالب ﷺ ، وعلى بن الحسين ﷺ ، وعلى بن موسى ﷺ ، وعلى النّقى صلوات الله عليهم أجمعين حيث قال : إنّ اسم العلى يدلّ على علوّ المسمّى فلهذا سمّي هذه الأربعة بهذا الإسم ، فافهم .

قوله ﴿ نور على نور ﴾ إشارة إلى الإمام التّاسع والعاشر والحادي عشر .

١ . لم أجد من ذكر هذا اللقب له ﷺ ، فراجع بحار الانوار ، ج ٤٨ ، ص ١٠١ و ١١٠ .

الكلمة الأولى وهو «نور» للتاسع، وفيه إيحاء لطيف بحساب الجمل إلى أول الأربعة الباقية من الأئمة كما أن أول الأربعة الثانية من الاثني عشر من الأئمة المسمّى بمحمد الباقر كذلك أول الأربع مسمّى بمحمد التقى، وعدد حروف «نور» ثلاثة كذلك حروف لقبه المشهور وهو «تقى» ثلاثة، وبيان الإيحاء بحساب الجمل هكذا بأن عدد كبير «نور» هكذا «٢٥٦» ووسيطه هكذا «٣١» وصغيره هكذا «٤» وهو إشارة إلى أنه أول الأربعة .



وقوله تعالى: ﴿على﴾ مطابق لاسم الإمام العاشر وهو «عليّ» ولقبه ﴿عليّ﴾ نقي باعتبار الحروف، وأما بحساب الجمل بأقسامه الثلاثة فهو مطابق لاسمه ﴿عليّ﴾ لا للقبه . فافهم .  
وقوله: ﴿نور﴾ مطابق لاسم الإمام الحادي عشر مع لقبه وكنيته . بيانه أن اسمه «حسن» عدده هكذا «١١٨» ومن ألقابه ﴿زكى﴾ عدده هكذا «٣٧» وكنيته «أبو محمد» عدده هكذا «١٠١» ومجموع هذه الأعداد هكذا «٢٥٦» مطابق لعدد «نور» وهو «٢٥٦» في جميع مراتب الأعداد، أي في الكبير والوسيط والصغير، فافهم .

وقوله تعالى: ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ إشارة إلى اسم الإمام الثاني عشر مع كنيته وثلاثة من ألقابه . بيانه أن اسمه «محمد» وكنيته «أبو القاسم» و«أبو عبد الله» وألقابه الثلاثة وهي «صاحب» و«مهدي» و«قائم» وعدد قوله تعالى: ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ هكذا «٧٥٦» مطابق بحساب الجمل الكبير لمجموع عدد اسمه وكنيته وثلاثة ألقابه المذكورة، لأن عدد اسمه مع كنيته هكذا «٤٥٤» وعدد ألقابه الثلاثة هكذا «٣٥٢» والمجموع هكذا «٧٥٦»، فافهم وتأمل في التطابق بين قوله تعالى: ﴿يهدى الله لنوره من يشاء﴾ وبين اسمه وكنيته وثلاثة ألقابه من ألقابه ﴿عليّ﴾ في جميع مراتب العدد، أي في الكبير والوسيط والصغير، والله العالم بحقائق كلامه .

### [إشارات في تسمية وليّ العصر باسم «محمد»]

واعلم يا حبيبي! أن هاهنا نكتة لا بد أن نذكرها وهي أن في اسمه - عجل الله تعالى فرجه - وهو «محمد» إشارات :

**الأولى:** الميم الأول إشارة بأمين ومأمون، والحاء إشارة بحبيب ومحبوب، والميم الثاني إشارة إلى مبارك وميمون، والدال إشارة إلى أنه دال إلى الدين المخزون .  
**والثانية:** أن الميم الأول إشارة إلى الملك، والحاء إلى الحلم، والميم الثاني إلى المجد، والدال إلى دين الإسلام .



والثالثة: أن الميم الأول إشارة إلى المنّة، والحاء إلى الحجّة، والميم الثانی إلى المغفرة، والدال إلى الدوام؛ لأن قوام قوائم الدین منه إلى يوم الدين .  
ونعم ما قيل بالفارسیّة:

این چه نام دلگشایست اینکه موسی و مسیح  
این چه اسم است اینکه نوح و یحیی و اسحاق را  
نام میمش نام ابراهیم و آدم شد تمام  
دال دینش کو در آخر هادی هود آمده  
حضرت داود کز صیتش دو عالم پر صداست  
واعلم أن السرّ فی تسميته ﷺ باسم الرسول ﷺ وكنيته بكنية الرسول ﷺ وهذا من  
خصائص هذا الإمام ولا يجوز إطلاق هذا الاسم مع هذه الكنية لغيره ﷺ من الأئمة؛ لأن  
هذا الاسم مع هذه الكنية مختص لمن عزز بعزّ الخاتمية كما أن الرسول خاتم الأنبياء  
كذلك الإمام الثاني عشر خاتم الأوصياء، ولهذا لا يجوز أن يذكر اسمه مع كنيته في  
المجالس؛ لأن العوام إذا سمعوا اسمه مع كنيته ﷺ اعتقدوا مثل ما اعتقد أهل الكتاب؛  
لأنهم قالوا: إن محمداً ﷺ غائب يظهر في آخر الزمان والذي جاء كاذب، والمحمد الموعود  
الذي هو خاتم الأنبياء لم يجيء بعد وإنما يجيء من بعد اسمه محمد وكنيته أبو القاسم  
-صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين-.

### [نقل كلمات بعض الاعلام في علم الاعداد]

وبعضی از علماء رضوان الله عليهم أجمعين از زبر و بیّنات آیه کریمه ﴿الله نور  
السّموات والأرض﴾ الآیة، أسامی حضرات أئمة را عليهم افضل الصلوات وأكمل التحیات  
بیرون آورده است به مضمون کلام أمير المؤمنین ﷺ، چنانکه جابر بن عبد الله الانصاری  
روایت کرده است که روزی

دخلت إلى مسجد الكوفة وأمير المؤمنين ﷺ يكتب بأصبعه ويتبسّم . فقلت له : يا  
أمير المؤمنين ما الذي يضحكك؟ فقال : عجبت لمن يقرء هذه الآية وهو لا يعرف  
حق معرفتنا . فقلت له : أي آية يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ : قوله تعالى : ﴿الله نور  
السّموات والأرض﴾<sup>١</sup>

١ . البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٣٦، ح ١٦ .



آنچه موافق کلام امیر المؤمنین علیه السلام از زبر و بیّنات قرار یافته به این منوال است :  
قوله : ﴿مشکوة﴾ زبره هکذا «م ش ک و ة» ، «۳۷۱» وهذا العدد مطابق لعدد «الحبيب الصادق محمد» وعدده هکذا «۳۷۱» وبيّناته هکذا «ی م ی ن ا ف ا و ا» وعدده هکذا «۱۹۹»  
مطابق لعدد «الحبيب الطيب محمد» وهو هکذا «۱۹۹» ومجموع العددين هکذا «۵۷۰»  
مطابق لعدد «الداعي محمد رسول الله» وهو هکذا «۵۷۰» .

وقوله ﴿فيها مصباح﴾ زبره هکذا «ف ی ه ا م ص ب ا ح» وعدده هکذا «۲۳۷» مطابق  
لعدد «الإمام واهب عليّ» وهو هکذا «۲۳۷» وبيّناته هکذا «ا ا ا ل ف ی م ا د ا ل ف ا» وعدده  
هکذا «۲۸۰» مطابق لعدد «حبيب الله عليّ وليّ الله» وعدده هکذا «۲۸۰» ومجموع العددين  
هکذا «۵۱۷» مطابق لعدد قولنا : «إمام واحد واهب ومطلوب كلّ طالب عليّ وليّ الله» وعدده  
هکذا «۵۱۷» .

وقوله : ﴿المصباح في زجاجة﴾ زبره هکذا «ال م ص ب ا ح ف ی ز ج ا ج ه» وعدده  
هکذا «۲۸۱» مطابق لعدد «حسن بن عليّ» وهو هکذا «۲۸۱» نوع دیگر «الحسن الأمين» عدده  
أيضا هکذا «۲۸۱» وبيّناته هکذا «ل ف ا م ی م ا د ا ل ف ا ا ا ی م ل ف ی م ا» وعدده  
هکذا «۵۳۲» مطابق لعدد قولنا : «الطيب حسين الشهيد» وعدده هکذا «۵۳۲» ومجموع  
العددين هکذا «۸۱۳» مطابق لعدد قولنا : «امامين «۱۴۴» «الوليين «۱۳۷» «الطيبين «۱۱۲»  
«الطيبين «۱۱۴» «الحسن «۱۴۹» «والحسين «۱۵۹» صلوات الله عليهما وهو هکذا «۸۱۳» .

وقوله ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ زبره هکذا «ال ز ج ا ج ه ک ا ن ه ا ک و ک ب د  
ر ی» وعدده هکذا «۳۸۹» مطابق لعدد «الزكيّ عليّ ابن الحسين» وعدده هکذا «۳۸۹» وبيّناته  
کذا «ل ف ا م ای م ل ف ی م ا ف ل ف و ن ا ل ف ا ف ا و ا ف ا ا ا» وعدده هکذا «۹۲۴»  
مطابق لعدد قولنا : «المولى الزكيّ الهادي الأمين عليّ بن الحسين زين العابدين» وعدده  
هکذا «۹۲۴» ومجموع العددين هکذا «۱۳۱۳» مطابق لعدد قولنا : «الإمام العادل العلام  
وسلطان الزاهد الأمين عليّ بن الحسين بن زين العابدين» وعدده هکذا «۱۳۱۳» .

وقوله : ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ زبره هکذا «ی و ق د م ن ش ج ر ة» وعدده کذا «۷۱۸»  
مطابق لعدد إمام أمر محمد باقر» وهو هکذا «۷۱۸» وبيّناته هکذا «ا ا و ا ف ا ل ی م و ن ی  
ن ی م ا» وعدده هکذا «۳۳۸» مطابق لعدد قولنا : «هادي دين محمد بن عليّ» وعدده کذا

۱. أي مجموع عدد زبره و بيّناته .







## مصباح: فى بيان معنى كلمات أبجد وسرّ وضعها

والدليل على قدم وضعها، والإشارة إلى حساب الجمل وقدمه، وإلى حساب العقود واعتباره بين الناس فى قديم الأيام، وذكر تصرفات المتأخرين فى حساب الجمل، وذكر خيال انطباق مراتب الأعداد على مراتب العوالم وما فرّعوا عليه .

واعلم، أنّ أبجد إلى آخره عبارة عن ثمانى كلمات مشهورة مفتوحة بهذه الكلمة جمع فيها جميع حروف الهجاء على اللغة العربية بلا تكرير، وقد جرت العادة بتعليمها للمبتدئين بعد ما علّموهم الهجاء مفرداتها ومركباتها الثنائية على نظم وترتيب مألوف للطّباع منشط لهم على أخذه وضبطه، والسرّ فى ذلك على الظاهر هو الإشعار للمبتدى بعد تعلّمه المفردات والثنائيات المنتظمة أنّ فى الكلام تركيبات ثلاثية ورباعية أيضا غير منتظمة على نظام مألوف ليستأنس بوقوع المخالفات أيضا فيه فتيسر له الشّروع فى تعلّم مطلق الكلام، وفيه سرّ آخر هو إيناسهم بألفاظ مستعلمة فى معنى من المعانى بعد توحّشهم من تركيبات مهملة هجائية ويؤيده ما ذكروا لها من المعانى هو أنّ «أبجد» بمعنى وجد، و«هوز» بمعنى ركب، و«حطّى» بمعنى وقف، و«كلمن» بمعنى صار متكلمًا، و«سعفص» بمعنى أسرع فى التعلّم، و«قرشت» بمعنى أخذه بالقلب، و«تخذ» بمعنى حفظ، و«ضظغ» بمعنى أتمّ، فيكون كلّها على صيغة الماضى من الثلاثى أو الرباعى، فمعنى المجموع على ترتيبها يصير بالفارسيّة هكذا: «بيدا كرد، در پيوست، واقف شد، سخنگوى شد، زود بياموخت، در دل گرفت، نگاه داشت، تمام كرد» .

وعلى هذا لا يخفى إمكان اعتبار فائدة أخرى أيضا فيها هى تأليفهم بالمعانى المربوطة، بعضها ببعض بنوع خاصّ من الأرتباط يستنبط منها الذّكى المتعلّم إذا فهمها أنّ الأهمّ له اللائق بشأنه فى حال التعلّم ما يفهم منها من الأخذ والتركيب والوقوف على المقصود، وتكرار التكلّم، والإسراع فى التعلّم، والإقبال إليه بالقلب والحفظ فيه والقيام بحقّه من الإتمام .

وأئى قد تفتّنت من أسرار وضعها غير ما ذكرناه بسرّ لطيف ينتفع به المنتهى أيضا، هو أنّها طريق ضبط وتمييز لمتشاكلات أسامى حروف الهجاء خطأ يغنى عن مؤونة ما اشتهر فى طريقه من ذكر ألفاظ المهملة والمعجمة والموحّدة والمثناة من فوق أو من تحت مثلا .

وتوضيح الكلام فيه: أنّ المتشاكلات المذكورة هى ثمانية عشرة: (الباء والتاء والثاء والياء، ثمّ الحاء والخاء، ثمّ الدال والذال، ثمّ الراء والزاء، ثمّ السين والشين، ثمّ الصاد والضاد، ثمّ الطاء والظاء، ثمّ العين والغين) فركّبوا هذه الكلمات على وجه لم تتفق







متشاكلتان منها في كلمة - كما ترى - من وقوع الباء في أبجد، والتاء في قرشت، والتاء في ثخذ، والياء في حطى، وكذلك الحاء في حطى، والخاء في ثخذ، وهكذا الى العين في سعفص، والغين في ضظغ، فهذا التركيب بهذا النسق يشكل جدا، بل يمتنع عادة اتفاقه بدون قصد ورعاية من مؤلفها .

فيعلم بذلك أنّ الواضع لها قصد بهذا التركيب أن يكون طريقا مختصرا في تمييز المتشاكلات المذكورة بعنوان الإضافة كأن يقال مثلا: «اللفظ الفلاني بباء أبجد، أو تاء قرشت». وهو كما لا يخفى ألطف وأخصر من أن يميّز بعنوان الوصف، فيقال مثلا: «هو بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق» فيسقط بهذا التدبّر مؤونة افتقار المصنّفين والكتاب إلى زيادة غير محتاج إليها .

وأما الدليل على قدم وضعها ما ذكره صاحب القاموس بقوله :

وأبجد، إلى قرشت وكلمن رئيسهم : ملوك مدين ، وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم ، هلكوا يوم الظلّة ، فقالت ابنة كلمن شعرا :

كلمن هدم ركني	هلكه وسط المحلة
سيّد القوم أتاه ال	حتف نارا وسط ظلّه
جعلت نار عليهم	دارهم كالمضمحلّة

ثمّ وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ ، فسمّوها : الروادف<sup>١</sup>

انتهى .

ولا يخفى غرابته من وجوه شتى ظاهرة على المتأمل ويوم «الظلّة» هو يوم احتراق أصحاب الأيكة بنا رأمرت عليهم من سبحانه بدعوة شعيب عليه السلام على طبق ما اقترحوه بقولهم :  
﴿فاسقط علينا كسفا من السماء﴾ (الشعراء: ٢٦) : (١٨٧) .

ويدلّ أيضا على قدمها مع اشتمالها على بعض الأسرار والإشارات ما روى الصدوق - رحمه الله - في كتاب التوحيد ، عن أبي الجارود زياد بن منذر ، عن محمد بن عليّ الباقر عليه السلام قال :

لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام كان ابن يوم كأنه ابن شهرين ، فلما كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتاب وأفعدته بين يدي المؤدّب . فقال له المؤدّب : قل بسم الله الرحمن الرحيم . فقال عيسى عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم . فقال المؤدّب لعيسى : قل أبجد . فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال : و هل تدري ما أبجد؟ فعلاه

١ . القاموس المحيط ، ص ٣٤٠ ، في لغة «بجد» : ونقل عنه في مجمع البحرين



بالدرة ليضربه . فقال : يا مؤذّب! لا تضربني إن كنت تدرى وإلا فاسألني حتى أفسّر لك . فقال : فسّر له . فقال عيسى : الألف آلاء الله ، والباء بهجة الله ، والجيم جمال الله ، والدال دين الله ، «هوز» ها هول جهتم ، والواو ويل لأهل النار ، والزاء زفير جهنم ، «حطى» حطت الخطايا عن المستغفرين ، «كلمن» كلام الله لا مبدل لكلمات الله ، «سعفص» صاع بصاع والجزاء بالجزاء ، «قرشت» قرشهم فحشرهم فقال المؤذّب : خذى أيتها المرأة بيد ابنك ، فقد علم فلا حاجة له فى المؤذّب .<sup>١</sup>

وروى أيضا عن الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير أبجد ما يقرب من ذلك بعد ما قال عليه السلام : «تعلّموا تفسير أبجد فإن فيه الأعاجيب كلّها ، ويل لعالم جهل تفسيره» .<sup>٢</sup>

فما وقع فى الروايتين من تفسير بعض الكلمات كأبجد وهوز بأن كلاً من حروف هجائه إشارة إلى كلمة تامّة .

كما روى فى تفسير «بسم الله» من أن «الباء بهاء الله ، والسين سناء الله ، والميم مجد الله» .<sup>٣</sup> وكما فى روايات كثيرة فى بيان معانى حروف الهجاء وفوائدها مبنى على ضرب من بيان المرام بنوع اختصار فى الكلام اعتمادا على فهم المخاطب به ، فاكتفى عن كل كلمة على حرف منها ، كما نقل عن الزجاج فى تفسير المقطعات القرآنية .<sup>٤</sup>

ويؤيده ما روى عن ابن عباس فى معنى قوله تعالى : ﴿الم﴾ أنا الله اعلم ، وفى ﴿الر﴾ أنا الله أرى .<sup>٥</sup>

وكذا ما روى عنه من أن ﴿الر﴾ و﴿حم﴾ و﴿ن﴾ هى حروف «الرحمن» مفردا .<sup>٦</sup>

وما روى عن غيره فى معنى ﴿يس﴾ يا سيّد المرسلين وفى ﴿المص﴾ ألم نشرح لك صدرك .<sup>٧</sup>

١ . التوحيد ، ص ٢٣٦ ، باب تفسير حروف الجمل ، ح ١ .  
٢ . نفس المصدر ، ص ٢٣٧ ، باب تفسير حروف الجمل ، ح ٢ .  
٣ . نفس المصدر ، ص ٢٣٠ ، باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم ، ح ٢ .  
٤ . الاتقان فى علوم القرآن ، ج ٣ ، ص ٢٧ .  
٥ . التفسير الكبير ، ج ٢ ، ص ٦ ؛ مجمع البيان ج ١ ، ص ٣٢ .  
٦ . روى هذا القول فى التفسير الكبير ، ج ٢ ، ص ٦ ؛ مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٣٢ ؛ وبعض تفاسير آخر ، من سعيد بن جبير ، ولكن فى الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، ج ٣ ، ص ٢٤ ، نقل هذا القول عن ابن عباس ، والله العالم .  
٧ . قال سيوطى فى الاتقان فى علوم القرآن ، ج ٣ ، ص ٣٣ : «وقيله فى قوله ﴿يس﴾ سيّد المرسلين... وحكى فى قوله <المص> أى معناه ألم نشرح لك صدرك . وهو كما ترى لا يدل على وجود الرواية فى هذا المعنى ، نعم ورد فى بعض الروايات كما فى تفسير نور الثقلين ، ج ٤ ، ص ٣٧٤ و٣٧٥ ، إن <يس> اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم .



ويوافق هذه الروايات ما روى عن بعض أهل البيت عليهم السلام في معنى **﴿كهيعص﴾** :  
أن الكاف عبارة عن كربلاء، والهاء عن هلاكة العترة، والياء عن يزيد الملعون وهو  
ظالم الحسين عليه السلام، والعين عن عطشه، والصاد عن صبره<sup>١</sup>.

وأما ما وقع في الروايتين المذكورتين من بعض كلمات آخر كحطى وقرشت بأن مجموع  
الكلمة إشارة إلى كلام تامّ وعبارة عنه بنوع من المناسبة فمبنى أيضا على ضرب آخر من  
الإيجاز والاختصار نظير ما ذهب إليه قوم في ألفاظ المقطعات من أنها أسامي السور إذا  
لوحظ معه ما يلوح مما تفتن به بعض في بيان اختصاص كل سورة بما بدأت به حتى لم  
يكن **﴿الم﴾** في موضع **﴿الر﴾** ولا **﴿حم﴾** في موضع **﴿طس﴾** قال: «وذلك أن كل سورة بدأت  
بحرف منها، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له محقق لكل سورة منها أن لا يناسبها غير  
الوارد فيها، فلو وضع **﴿ق﴾** في موضع **﴿ن﴾** لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في  
كلام الله وسورة **﴿ق﴾** بدأت به لما تكرّر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر  
القرآن، والخلق، وتكرير القول ومراجعته مرارا، وتلقى الملكين، والقرب من بنى آدم،  
والرقيب، والسائق، والقعيد، والإلقاء في جهنم، والتقديم بالوعد، وذكر المتقين،  
والقلب، والقرون، والتنقيب في البلاد، وتشقق الأرض، وحقوق الوعيد وغير ذلك.

وقد تكرّر في سورة يونس من الكلم الواقعة فيها «الراء» مائة كلمة أو أكثر، واشتملت سورة  
**﴿ص﴾** على خصومات متعدّدة، فأولها خصومة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الكفار، وقولهم: **﴿أجعل  
الآلهة إلهًا واحدًا﴾** (ص: ٣٨: ٥)، ثم اختصاص الخصمين عند داود، ثم تخصم أهل النار، ثم  
اختصاص الملائ الأعلی، ثم تخصم إبليس في شأن آدم، ثم في شأن بنيه وإغوائهم، انتهى.  
ولا يخفى أن شيئا من هذين الضربين لا ينافي لقصد معنى آخر أيضا من نفس  
الكلمة، كما ترى في كلمة «بسم الله»، وكما قد عرفت في كلمات «أبجد»، وكما يحتمل  
في ألفاظ المقطعات القرآنية على ما سيجيء، بل تصير أبلغ والطف، ولا يستبعد من رعاية  
أمثال هذه النكات الخفية المحتجبة عن أكثر الأذهان في بعض أنحاء التخاطب من له  
إلف بأنواع خطاب الله لخواصه من الأنبياء عليهم السلام، وخطاب الأنبياء لخواصهم من الأئمة عليهم السلام،  
فإن كلا منهما مشحون بما يستغربه العوام من أهل اللغة؛ لعدم استعدادهم لفهمه؛ لفقدان  
ما يتوقف عليه فهمه فيهم مما يخصّ الخواص من علوم عزيزة حاصلة لهم من طرق مسدودة

١. كمال الدين، ص ٤٦١، باب من شاهد القائم، ح ٢١ ونقل عنه في نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٢٠؛ تفسير البرهان، ج ٣، ص ٣

على سائر الناس، كالوحي والتحديث والتفهيم، فلا تحصل لغيرهم إلا بالتوقف عنهم .  
على أن قوما اعتقدوا في ألفاظ المقطعات القرآنية أن لها مدلولات كانت في زمان النزول  
متداول بين فصحاء العرب، وأنه لو لا ذلك لكانوا أنكروا ذلك على النبي ﷺ، بل تليص  
عليهم ﴿حم﴾ و ﴿ص﴾ وغيرهما، فلم ينكروا ذلك، بل صرّحوا بالتسليم له في البلاغة  
والفصاحة .<sup>١</sup>



وهذا الاحتمال وإن كان لا يخلو عن بعد يجرى نظيره فيما نحن فيه، فإنه لا يمتنع أن  
يكون وضع «أبجد» في زمان كان فيه إرادة هذه المعاني عن هذه الكلمات مع أنها موضوعة  
لمعان آخر أيضا، أو أن المقصود الأصلي منها أمر آخر شائع ولا سيما بين خواصهم،  
خصوصا على احتمال أن يكون هذه الكلمات في جملة خطاب الله تعالى لبعض أنبيائه، لا  
من موضوعات البشر، فإن كونها مشتملة على الأعاجيب - كما صرح به في رواية الأصبغ  
- مؤيد لهذا الاحتمال جدا .

وأما ما وقع في رواية الأصبغ أيضا من الأمر بتعلم تفسير «أبجد» والوعيد على جهله،  
فيمكن أن يكون باعتبار معان اشتمل عليها ما ذكر في تفسيره من صفات الله تعالى ودينه،  
وما أعد للناس من الثواب والعقاب، وما شابه هذه الأمور، فإنها مما وقع التكليف بمعرفتها  
في كل شريعة ولو اجمالا . فلا يعذر من جهلها إذا تيسر له تلك المعرفة . ولعل قوله ﷺ:  
«ويل لعالم جهل تفسيره»<sup>٢</sup> إشارة إلى هذا الشرط فتدبر .

ومما يدل أيضا على أن «أبجد» مما وضع في قديم الزمان سواء فرض أنه من الله تعالى، أو  
من المخلوقين ما فرغوا عليه في قديم الأيام من الحساب المشهور بالجمل (بضم الجيم  
وفتح الميم المشددة واللام المخففة) ومن لطائف الاتفاقات المساعدة لهذا المطلوب أن  
جميع حروف الهجاء، المجموعة فيه ثمانية وعشرون، فجعلوا سبعة وعشرين منها لأصول  
مراتب الأعداد من الأحاد والعشرات والمئات، وواحد للألف، فلم يحتاجوا معها إلى ضم  
شئ آخر إليها أصلا فضلا عن تكراره، كما احتيج في أرقام حساب أهل الهند إلى ضم  
علامة صفر في عشراتهم وصفرين في مآتهم والثلاثة في أحاد الألف وهكذا، فيحصل  
المقصود في جميع المراتب من نفس هذه الحروف بالإفراد والتركيب والتقديم والتأخير، كما  
هو المقرّر المشهور في حساب أهل النجوم في زماننا هذا .

١. الاتقان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٣٠ و ٣١ .

٢. التوحيد، ص ٢٣٧، باب تفسير حروف الجمل .



والدليل على اعتبار هذا الحساب من قديم الأيام ما نقل المفسرون عن بعض فى تفسير المقطعات القرآنية أن كل حرف منها يدل على مدة قوم وآجال آخرين حتى نقلوا عن اليهود أنهم بعد سماعهم مفتتح سورة البقرة توهموا أنه إشارة إلى أن مدة بقاء شريعة محمد ﷺ إحدى وسبعون سنة عدد مجموع الألف واللام والميم، فلما قرء عليهم سائر الفواتح ارتفعت الشبهة عنهم.<sup>١</sup>

وأيضاً يدل عليه ما رواه الصدوق «ره» فى إكمال الدين وغيره من كتبه.<sup>٢</sup>  
وذكر القطب الراوندى فى الخرائج والجرائح قال:

حدثنا أبو الفرج أحمد بن المظفر بن نفيس المصرى الفقيه. قال: حدثنا محمد بن أحمد الداودى، عن ابيه. قال: كنت عند أبى القاسم بن روح - قدس سره - فسأله رجل ما معنى قول العباس للنبي ﷺ «إن عمك أبا طالب قد أسلم بحساب الجمل - وعقد بيده ثلاثاً وستين -». فقال: عنى بذلك إله أحد جواد. وتفسير ذلك أن الألف واحد، واللام ثلاثون، والهاء خمسة، والألف واحد، والحاء ثمانية، والدال أربع، والجيم ثلاثة، والواو ستة والألف واحد، والدال أربعة، فذلك ثلاثة وستون.<sup>٣</sup>  
انتهى.

فحاصل هذا المعنى ومؤدى هذا التفسير على الظاهر أن قوله: «وعقد بيده» إلى آخره عطف تفسيرى لقوله «قد أسلم بحساب الجمل» والمراد منهما أن أبا طالب أخبر عن إسلامه بإشارة حسابية يفهم أهل الخبرة منها أنه أقرب أمهات أسمائه وصفاته التى يمكن أن يرجع إليها البواقي.

ويمكن أن يحمل على هذا ما رواه الكليني «ره» فى أبواب التاريخ عن أبى عبد الله ﷺ قال: «أسلم أبو طالب بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثاً وستين».<sup>٤</sup>

ويحتمل أن يكون المراد من الفقرة الأولى فى الروايتين معنى آخر غير الإشارة الحسابية. حاصله أن إسلامه كان بعنوان حساب الجمل غير مختص بلغة دون لغة ولسان دون لسان، بل على وجه شائع اطلع عليه جميع الطوائف، وحينئذ يمكن أن يكون إشارة إلى ردِّ

١. التفسير الكبير، ج ٢، ص ٧٠٦؛ مجمع البيان، ج ١، ص ٣٣؛ معانى الأخبار، ص ٢٣.

٢. كمال الدين، ص ٤٦١؛ معانى الأخبار، ص ٢٢، باب معنى حروف المقطعه...

٣. الخرائج والجرائح، ج ٣، ص ١٠٧٥-١٠٧٨؛ معانى الأخبار، ص ٢٨٦؛ كمال الدين، ج ٢، ص ٥١٩، ح ٤٨.

٤. الكافى، ج ١، ص ٤٤٩، باب مولد النبي ﷺ، ح ٣٣.

التَّخْصِصِ الَّذِي رَبَّمَا يَفْهَمُ مِمَّا رَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ قَالَ: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ حَتَّى آمَنَ بِلِسَانِ الْحَبَشِيَّةِ»<sup>١</sup>.

ويؤيد هذا المعنى ما روى أيضا الكليني «ره» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ أَبَا طَالِبٍ أَسْلَمَ بِحَسَابِ الْجَمَلِ . قَالَ : بِكُلِّ لِسَانٍ»<sup>٢</sup>.

ويلائمه أيضا ما يلوح عن رواية شعبة عن قتادة في حديث طويل

هو أنّ المراد بعقد ثلاث وستين بيده أنه أسلم إسلاما ظاهرا برفع سبّابته اليمنى عند التكلّم بالشهادتين، كما هو المتعارف في تلك الأزمنة<sup>٣</sup>.

ويدلّ عليه حساب العقود المشهور بين الجمهور المنقول عن القدماء<sup>٤</sup> فإنّهم وضعوا سبعا وثلاثين صورة من أوضاع أصابع اليمنى واليسرى للإشارة إلى الأعداد من الواحد إلى عشرة آلاف، تكون علامة الثلاثة من تلك الصّور ضمّ الخنصر والبنصر والوسطى من اليمنى قريبة من أصولها، كما هو المتعارف بين الناس في عدّها باقتضاء الطبع، وعلامة الستين وضع باطن العقد الثّاني من سبّابتها على ظاهر العقد الأوّل من إبهامها، كما يفعله الرّماة عند الرّامي، فصورة الثلاثة والستين في هذا الاصطلاح توافق ما تعارف في حال إظهار الشّهادتين، فلا يبعد أن يراد بهذا العدد هذه الصّورة خصوصا إذا كان نظير ذلك واقعا في كلامهم.

كما في الشّعْر الَّذِي ذَكَرَهُ الصَّدُوقُ «ره» فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ لِلاِسْتِشْهَادِ عِنْدَ ذِكْرِ الْبَدِيعِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى خَاطِبِ الشَّاعِرِ رَجُلًا بِخَيْلًا فَقَالَ :

وكفّاك لم تخلقا للنّدى  
ولم يك بخلهما بدعة  
فكفّ عن الخير مقبوضه  
كما حطّ عن مائة سبعة  
وأخرى ثلاثة آلافها  
وتسع مائتها لها شرعة<sup>٥</sup>

فإنّ الظّاهر أنّ الشّاعر أشار إلى أنّ كلّاً من كفيّه مقبوضه مضمومة عن الإحسان، اليمنى منهما على صورة ثلاثة وتسعين، واليسرى على صورة ثلاثة آلاف وتسعمائة بناء على أنّ صورة الثلاثة - كما عرفت - ضمّ الخنصر والبنصر والوسطى كلّها من اليمنى، وصورة التسعين

١ . بحار الانوار، ج ٣٥، ص ٧٨، ح ١٨ .

٢ . الكافي، ج ١، ص ٤٤٩، ح ٣٢، باب مولد النبي صلى الله عليه وآله.

٣ . حاشية الخرائج والجرائح، ج ٣، ص ١٠٧٦ .

٤ . كتاب خزائن للنراقى، ص ٩٥-٩٧ .

٥ . التوحيد، ص ١٩٩ .





وضع رأس ظفر السبابة منها على مفصل العقدة الثانية من إبهامها، فتصير الكف اليمنى مقبوضة بجمعها عند الإشارة إلى ثلاثة وتسعين، وكل ما هو فى الكف اليمنى للأحاد والعشرات وفى الكف اليسرى للألوف والمآت، فتصير الكف اليسرى أيضا مقبوضة بجمعها عند الإشارة إلى ثلاثة آلاف وتسعمائة. هذا.

فظهر ممّا تلونا عليك أنّ حساب الجمل معمول عليه من قديم الأيام وقد تصرف المتأخرون فيه تصرفات لطيفة.

منها: التغيير عن الحروف بإيراد لفظ يدلّ بنفسه أو باعتبار معناه اللغوى أو الاصطلاحى بنوع من أنواع الدلالات على عددها باعتبار هذا الحساب، كما جرت العادة فى المعميات أن يعتبر مثلا عن اللام بالشهر باعتبار موافقة عددها بهذا الحساب لأيامه، وعن غين ضغط بالعندليب باعتبار أن اسمه بالفارسيّة هزار أو بالعكس. ومن هذا القبيل ما قيل غفلة عن حدوث أمثال هذه الاصطلاحات فى معنى ﴿طه﴾ (طه: ٢٠: ١) أنه يجوز أن يكون المراد به يا بدر خطابا للنبي ﷺ باعتبار أن عدد مجموع الطاء والهاء أربعة عشر، وهو عدد ما يصير به الهلال بدرا من الشهر.

ومنها: ضبط التواريخ على وجه يمكن فيه رعاية أمور متناسبة تلذ وتنشط منها الأسماع والقلوب، ويسهل بها الضبط والحفظ كما هو المعمول فى هذه الأزمان.

ومنها: تخصيص الحساب المشهور باسم الزبر واستخراج نوع آخر منه مسمى بالبيئات.

### [تعريف حساب الزبر و البيئات]

وتوضيحه: أنّ لكلّ من الألف والباء والجيم مثلا إذا اعتبرت أسمائها اعتبارين: الأول: اعتبار أول الأسماء المطابق للمسميات، فيكون بهذا الاعتبار عدد الألف واحد والباء اثنين والجيم ثلاثة وهكذا.

والثانى: اعتبار تنمة الأسماء، فيكون بهذا الاعتبار عدد الألف مائة وعشرة، وهو عدد مجموع مسمى اللام والفاء، وعدد الباء واحد عدد مسمى الألف، وعدد الجيم خمسين عدد مجموع مسمى الياء والميم.

فيقال للحساب الأول حساب الزبر وللحساب الثانى حساب البيئات.

ووجه التسمية فى الأول ظاهر وفى الثانى يمكن أن يكون مناسبة تقابلهما فى لفظ القرآن، فبعض الحروف يكون زبره أكثر من بيئاته فى الحساب، ككلّ من حروف قرشت،

وبعضها بالعكس ، ككلّ من حروف كلمن ، وبعضها متساوي الزبر والبيّنات ، كما اتفقوا في خصوص سين سعفص .

ويتفرّع على هذين الاعتبارين لطائف كثيرة يتفطن بها الأذكياء . من جملتها اتفاق مطابقة عدد بيّنات لفظ محمد لله لعدد زبر اسلام ، وعدد بيّنات لفظ على ﷺ لعدد زبر لفظ إيمان . نظمه الفاضل الدواني في سلك رباعياته المشروحة بقوله :



خورشيد كمال است نبى ماه ولى  
اسلام محمد است وايمان على  
گر بيتى بر اين سخن مى طلبى  
بنگر كه زبيّنات اسما است جلى  
وقال بعض العرفاء أيضا في حقّ علىّ :

از مهر على كسى كه يابد عرفان  
نامش همه دم نقش كند بردل و جان  
اين نکته طرفه بين كه ارباب كمال  
يابند زبيّنات نامش ايمان

وربّما اعتبر جمع الاعتبارين معا في الحساب ، فيكون عدد الألف مثلا بهذا الاعتبار مائة واحد عشر عدد مجموع الألف واللام والفاء جميع ملفوظ اسمها ، فيقال لهذا العدد للألف عدد الملفوظية لها ، ولما سبق لها باسم حساب الزبر باعتبار هذه المقابلة عدد المكتوبى لها ، ويعتبر هذا أيضا كثيرا في المعميات ، فهذه كلّها اعتبارات اصطلاحية معظم فوائدها إنّما هو ما ذكرناه .

لكنّ قوما من المتصوّقة - بناء على ما تخيلوا من أنّ مراتب الأعداد منطبقة على مراتب العوالم وأنّها مرآة لحقائق الأشياء حتّى لو وفق أحد للاطلاع على جميع خواصّها وأحوالها انكشف عليه أحوال الموجودات حتّى الحوادث الماضية والآتية - اعتقدوا أنّ مثال ما نقل عن بعض المعاربة من هذا الباب ، مثل استنباطه من قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (الزلزلة: ٩٩: ١) وقوع زلزلة في سنة اثنين وسبعمائة وقد وقع الأمر كذلك .

فصرفوا أعمارهم في تلك الخيالات وأجروا أنواع الحساب المذكور في أسماء الله تعالى ، بل في سائر الأسماء والألفاظ عليها وادّعوا أنّ ذلك باب عظيم الفوائد في الاستنباطات وتحصيل المطالب .

فاخترعوا طرقا في وضع تلك الأسماء في الألواح بهذا الحساب ، ووضعوا قواعد غريبة من التّكسير الصّغير والكبير و المكسّر وتقسيم الحروف على حسب الطّبائع إلى النّارى والهوائى والمائى والأرضى ، واسقاط بعض منها في الحساب وإثبات آخر منها وغير ذلك من الأحكام الّتى قرّروا في علم الحروف .





واعلم يا حبيبي! أنا أذكر لك من جملة التّطابق بين حروف الهجاء وبين منازل القمر أنّ حدوث الصّوت في الإنسان مثلا باعتبار خروج الهواء من قصبة ريته بالعنف، وإذا تقاطع في المخارج الثمانية والعشرين التي بمنزلة المنازل الثمانية والعشرين للقمر حصلت الحروف المترتبة ترتيب الأبجدى أو الأبثى، أو الأهطمى، أو الأيقعى، أو غير ذلك المنقسمة إلى المنقوطة وغير المنقوطة، المعبر عنهما بالنطاق والصّامت، وإلى المفردة والمثنى والمثلث باعتبار وجود الشريك وعدمه وباعتبار وحدة النّقطة وكثرتها، وإلى الملفوظى والمسرورى والملبوى، وإلى المفاصلة والمواصلة، وإلى التّورانية والظلمانية، وإلى المدغمة فيها لام التعريف والمظهرة التي كلّ واحد منها أربعة عشر بعدد الأربعة عشر من المنازل للقمر، التي هي ظاهرة وفوق الأرض أبدا، والأربعة عشر التي هي مخفية وتحت الأرض دائما.

إلى غير ذلك من أحكامها العجيبة التي لا تحصى، مثل أنّ في الترتيب الأبثى الألف التي هي حرف الذات الأقدس تعالى هي الأول والآخر، ومثل أنّها أو خليفتها التي هي الياء والواو اللتان هما من حروف اللين في بينة جميع الحروف وفي قلبها، كما أنّ وجود الذات الأقدس مقوم لجميع الموجودات.

ومن جملة التّطابق بين حروف الهجاء التي صدرت وحصلت من النّفس الإنساني في عالم الصّغير وبين النّفس الرّحمانى الصّادر من الله تعالى في عالم الكبير، أنّ النّفس الإنساني باعتبار خروج الهواء من قصبة الرية المقارع للمخارج الثمانية والعشرين حصلت الحروف الأبجدى.

كذلك النّفس الرّحمانى باصطلاح العرفاء وفي الشّرع المطهّر يعبر عنه بكلمة «كن» والمقارع للمقاطع الثمانية والعشرين من العقل، والنّفس، والأفلاك التسعة، والأركان الأربعة، والمواليد الثلاثة، وعالم المثال، والمقولات التسع العرضية.

وهذا العالم يحصل من النّفس الرّحمانى و حروف الهجاء يحصل من النّفس الإنساني . فإذا علمت التّطابق بين العالمين علمت معنى قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ (الأسراء: ١٧) : ٨٤ وعرفت معنى قول النّبي ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته»<sup>١</sup> وتفطنت معنى قول عليّ عليه السلام «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»<sup>٢</sup>.

١. التوحيد، ص ١٠٣، ١٥٢ و ١٥٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٠؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٤٤؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٢؛ عوالم اللّغوى، ج ١، ص ٥٣.  
٢. قد مرّ الخبر بأنّه قول النّبي وهو مشهور بين الشيعة والسنة، راجع عوالم اللّغوى، ج ٤، ص ١٠٢، ح ١٤٩؛ مصباح الشريعة، ص ٢٥٧، الباب ٦٢؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٢، ح ٢٢.

## نقل اصطلاح لتنوير مصباح في علم الحروف

اعلم يا حبيبي! أن الأهطمي هو تركيب الحروف بجمل أربع على ترتيب العناصر الأربعة، فالحروف النارية تركيبها اهطمفشذ، والهوائية بوينصتض، والمائية جزكس قنظ، والترابية دح ل ع ر خ غ. وإعراب الأولى الفتح، والثانية الضم، والثالثة الكسر، والرابعة الجزم. والأيقعي و تركيب الحروف بحيث يكون ما يكتب برقم واحد من الأرقام الهندية متصلا واحدا وجملة واحدة، مثلا الألف والياء والقاف والغين تكتب هكذا «١» فركبت هكذا «ايقغ» والباء والكاف والراء تكتب هكذا «٢»، فركبت هكذا «بكر»، والجيم واللام والشين تكتب هكذا «٣»، فركبت هكذا «جلش»، وقس على المذكور باقي الحروف. والمراد من الملفوظ هو الحرف الذي يتلفظ في اسمه بثلاثة أحرف ولا يكون أولها عين آخرها، كالألف والجيم ونحوهما. والمسروري أن يكون كذلك إلا أن أوله عين آخره وهو الميم والنون والواو وتركيبها «نمو» ويقال لها: الحروف المستديرة أيضا. والملبوبي هو الحروف التي يتلفظ في اسمه بحرفين كالباء والتا ونحوهما تسمى الحروف العلية أيضا. والمراد من المفاصلة هي الحروف التي لا تتصل بما بعدها وإن تتصل بما قبلها، كالألف ونحوها وهي ستة وتركيبها «اوذرد».

### [ما هي الحروف النورانية؟]

واعلم أيضا أن الحروف النورانية هي الحروف المقطعة التي هي فواتح السور وبعد حذف المكررات تصير تركيبها هكذا «صراط على حق نمسكه» أو «صراط حق على نمسكه»<sup>١</sup> مثلا الألف من الحروف النورانية، والباء من الحروف الظلمانية. وإنما سميت هذه الحروف المقطعة التي هي فواتح السور نورانية وما عداها ظلمانية؛ لأنه لم يخل اسم من أسماء الله تعالى منها غير اسم الودود، بخلاف الظلمانية؛ إذ لم يتألف منها اسم من أسمائه تعالى بلا امتزاج من النورانية غير ذلك الأسم المذكور، ففي انطواء

١. قال الاستاذ في هزارويك نكته، ج ٢، ص ٦١٤، الرقم ٧٦٣: «... أو، على صراط حق نمسكه».





الألف التي من الحروف النورانية في الباء التي من الحروف الظلمانية إشارة إلى أن باطن عالم الظلمات هو النور ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ (البقرة: ٢) : (٢٥٧). وقد ورد أن لكل كتاب سرّ وسرّ القرآن في الحروف المقطعة التي هي فواتح كتاب التدوين كذلك سرّ كتاب التكوين في الحروف البسيطة التكوينية التي هي مفاتيح كتاب التكوين . والمراد من الحروف البسيطة في الكتاب التكويني العقول الكلية التي كانت أصلا لكل شيء ؛ لأنها ينبوع الفعليات ودليلا لكل مدرك ، لأن إدراكه باتصاله بها وعند بعض الحكماء «وتعقل نفس الناطقة باتحادها بالعقل الفعال» ، وكانت فصل الخطاب الرفع لكل مشكل ، وبها يحقّ الحقّ ويطلّ الباطل ويعرف الأسباب والمسببات وعالم المعاني والشهادات . كما يفهم من الحديث إطلاق الحروف عليها في العيون مخاطبا لعمران المتكلم الصابي بقوله ﷺ :

اعلم أن الإبداع والمشية والإرادة معناها واحد وأسمائها ثلاثة ، وكان أول إبداعه وإرادته ومشية الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء ودليلا على كل مدرك وفاضلا لكل مشكل ، وبتلك الحروف تعرف [تفريق . توحيد] كل شيء من اسم حقّ وباطل أو فاعل [فعل] أو مفعول أو معنى أو غير معنى ، وعليها اجتمعت الأمور كلها ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها تتناهى ولا وجود لها ؛ لأنها مبدعة بالإبداع . أقول : وبالله التوفيق أن في قوله ﷺ : «من اسم حقّ وباطل» إشارة لطيفة إلى أن الممكنات أمور اعتبارية ، كما قال الله تعالى : ﴿إن هي إلا أسماء سمّيتها أنتم وأبأكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ (النجم: ٥٣) : (٢٣) .

وفي قوله ﷺ : «وعليها اجتمعت الأمور كلها» إشارة إلى أن كلاً منها كلمة تامة جامعة لكل كمال وخير بنحو البساطة .

وفي قوله : «ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها» إشارة إلى بساطتها . وقوله ﷺ «تتناهى» باعتبار أن فوق مرتبتها مرتبة نور الأنوار ؛ فإنه تعالى فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى عدّة ومدّة وشدّة ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ (فصلت: ٤٤١) : (٥٤) .

وقوله : «لا وجود لها» باعتبار فنائها عن ذواتها واستهلاكها في بحر نور الأحديّة كما ورد في الحديث :

«إنّ لله أرضا بيضاء مشحونة خلقا يعبدون الله ويسبّحونه ويهلّلونه ولا يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا إبليس». <sup>١</sup> تمّ الحديث .

لأنّهم مستغرقون في مشاهدة جماله وجلاله، كما أنّ الحروف غير مستقلة بالمفهومية كذلك العقول غير مستقلة في الموجودية، ولهذا أطلقت عليها الحروف ونعم ما قيل بالفارسية :  
از وجود خود چونی گشتم تهی نیست از غیر خدایم آگهی  
وأما رأس الحديث فعلم مما ذكرنا، فافهم وتأمّل وكن من الشاكرين .



### [التأويل الذي ذكره رسول الله ﷺ]

مصباح: في ذكر التأويل الذي ذكره رسول الله ﷺ حتى يتبين أنّ التأويل واجب في بعض المقام ولا تستوحش في التأويل الذي ذكره بعض العرفاء في بعض المقام، والله الهادي إلى سبيل التأويل والرشاد .

روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنه أنّه قال :

«صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر فأسند ظهره على محرابه وأقبل علينا بوجهه الكريم وأثنى على الله جلّ ثنائه، ثمّ قال ﷺ: يا ابن عمّي وأخى وزوج ابنتي فاطمة الزهراء فوثب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ من وسط القوم . فقال ﷺ: ها أنا فداك أبي وأمّي يا رسول الله، فقال ﷺ: يا أبا الحسن والحسين ﷺ أخرج إلى صحن المسجد فسلم على الشمس فإنها تحبّيك وتكلمك» قال جابر: «ففرغت من الازدحام وبادرت بالخروج قبل الناس، فخرج أمير المؤمنين ﷺ والمهاجرون والأنصار خلفه فوقف ﷺ بإزاء الشمس وهي بازغة، فقال ﷺ: السلام عليك يا خليفة الله فقالت الشمس بأعلى صوتها بلسان عربيّ طلق فصيح متين: وعليك السلام والتحية والإكرام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن وأنت بكلّ شيء عليم . فغضب أصحاب الرسول ﷺ ورجعوا إليه . وقالوا: يا رسول الله سمعناك بالأمس تقول: إنّ الأول والآخر والظاهر والباطن والذي بكلّ شيء عليم هو الله تبارك وتعالى، ونحن نسمع اليوم نداء الشمس تخاطب عليّاً بهذه المخاطبة . أعلى ربّ نعبده؟ فقال: رسول الله ﷺ: اسكتوا اسكتوا فإنّ لكل مقام مقالاً ولكلّ كلام جواباً أمّا قولها يا أول معناه يا أول من آمن بالله ورسوله و أمّا قولها يا

١ . شرح الأسماء الحسنی للحکیم السبزواری، ص ٩٨ و ٩٩، وفي عوالمی اللثالی، ص ١٠٠، ح ١٤٤ .



آخر فهو من يعينى ويدركنى ويكفينى ويتركنى على أعواد المنادى ، وأما قولها يا ظاهر فهو الظاهر يوم بدر وحنين ، وأما قولها يا باطن فهو الذى ما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وقد هوى باطنها بمحبته ، وأما قولها وأنت بكل شىء عليم فقد علّمه الله تعالى علم الأولين والآخرين . ثم قال : يا معاشر الناس إن أول قدم يدخل الجنة قدم على بن أبى طالب عليه السلام . فقام عمر بن الخطاب وقال : يا رسول الله سمعناك بالأمس تقول : إن الجنة محرمة على سائر الخلق حتى تدخلها أنت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ولكن حامل لوائى على عليه السلام ويده عمود من زمرد خضراء عليها لواء تجمع فيه تسعين شقة ، كل شقة أوسع من الشمس والقمر . فقام عمر بن الخطاب وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين يطبق على عليه السلام حملته ، فقال عليه السلام : اسكت يا ابن الخطاب فإن الله تعالى أعطى علياً عليه السلام قوة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش والكروبيين<sup>١</sup> .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم «فإن لكل مقام مقالاً ولكل كلام جواباً» إلى آخره يفهم أن فهم المعانى يحتاج إلى قريحة صافية حتى صار من أهل الفهم والراسخين فى العلم ، كما دعى صلى الله عليه وسلم لأكرم أحبائه : «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»<sup>٢</sup> .

وكما قال الله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم﴾ (آل عمران (٣) : ٧) . وإذا سمعت يا حبيبي ! من بعض العرفاء الشامخين كلاماً ليس بظاهره صحيحاً فلا تسبق بالرد والطعن ؛ لأن لكل مقام مقالاً ولا يعرف كلامهم إلا من عرف باصطلاحهم كما قيل :  
هر كسى را اصطلاحى داده ايم      هر كسى را سيرتى بنهاده ايم<sup>٣</sup>  
فافهم وكن من الراشدين والله      الهادى إلى صراط مستقيم

### [قول بعض أهل الذكر فى خواص آية النور]

فائدة : ذكر بعض أهل الذكر فى الآية الشريفة ﴿الله نور السموات﴾ إلى آخره خواصاً مستندا إلى الروايات عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ونحن لم نطلع على سندها ولم نر ما ذكره فى كتب الأحاديث المعتمدة ، ولكن التسامح فى أدلة السنن معتبر عندنا ولهذا نذكر ما

١ . لم نجده فى الكتب الروائى

٢ . بحار الانوار ، ج ٦٩ ، ص ٩٢ ؛ جامع الأصول فى أحاديث الرسول ، ج ٢ ، ص ٤ ؛ المحجة البيضاء ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ و ٢٥٤ .

٣ . مثنوى ، ص ١٥٥ ، س ٢١ ، وفيه :

ذکره فی الآیة المبارکة وهی هذه آیة مبارکة ﴿اللّٰهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

به جهت کشف امور غامضة و فیوضات در روایات از ائمه معصومین علیهم السلام خصوصا صاحب الامر علیه السلام، و به جهت هر قسم مسؤولات داشته باشد طلب نماید و ختم آیه مبارکه را بخواند، باعث استجاب دعا است .



و طریق ختم آیه چنین است: در اربعین اول در وقت خوابیدن چهارده مرتبه آیه را بخواند، و بعد از آن چهل و یکبار صلوات بفرستد و با وضوء باشد. و ابتداء ختم از روز یکشنبه و قمر زاید النور باشد، و در اول روز غسل کند و در وقت خوابیدن در شب آن روز شروع به تلاوت آیه مبارکه نماید، و در خواب سیرها بسیار خواهد کرد و صداهای وحشت آور بسیار خواهد شنید و در آب مثل رودخانه و در یاغوطه و ر خواهد شد، و اگر در اول ختم تزکیه نفس نکرده باشد خواهند ترسانید، و علوم چند به او تعلیم خواهند کرد مثل کیمیا و سیمیا و از عاقبت هر امری که خواهد مطلع شود مطلع خواهد شد، و باید آن شخص دل به اینها نبندد و متوجه نشود و بگوید: استدعای من رسیدن به خدمت موالیان خود مانست. تا آن وقت او را داخل باغی خواهند کرد و در آن باغ قصری به نظر او می آید، و در آن قصر به خدمت ائمه معصومین علیهم السلام خواهد رسید و هر قسم استدعا داشته باشد اگر مرخص کنند سؤال کند که وقت سؤال است، و باید این اسرار را به هیچ کس نگویید.

و اگر خواهد ترقی کند در اربعین دوم آیه شریفه را در وقت خواب هر روز چهل و هشت بار بخواند با شرایط مذکوره .

و در اربعین سیّم به عدد حروف مکتوبی آیه بخواند .  
و در اربعین چهارم به عدد جمل لفظ نور بخواند که عبارت از دویست و پنجاه و شش عدد است .

و در اربعین پنجم به عدد جمل مجموع اسماء آل عبا بخواند که محمد و علی و فاطمه و حسن و حسین است و عدد مجموعی این اسماء پانصد و هشتاد و سه است .

و در اربعین ششم به عدد مجموعی آیه شریفه که به اربعین قسمت نموده خارج قسمت را ورد سازد .

و بدانکه هرگاه مجموع آیه شریفه با عدد مجموع اسم قاری که مرتکب این امر است ضرب نموده در اربعین هفتم به طریقی که در ششم گذشت یعنی خارج قسمت را ورد

سازد به مرتبهٔ اعلیٰ خواهد رسید، یعنی به مرتبهٔ انسان کامل می‌رسد»

انتهی .

و دیگر از جناب شیخ بهاء الدین «ره» منقول است که :

مداومت نمودن به این آیهٔ شریفه در وقت نزدیک طلوع آفتاب هر روز صد و بیست و

چهار مرتبه باعث انکشاف علوم و تنویر قلب می‌شود .

و ایضا از جمله تنویر القلب وانکشاف علوم است ورد ساختن «کهیعص» و «حمعسق»  
بین العشائین بعدد جمل کبیر حروف هر دو اسم و بعضی از اهل ذکر بین الطلوعین خواندن  
را بهتر می‌دانند والجمع مهما أمکن أولى من الطرح .

و ایضا قاری در وقت خواندن آیه وقتی که لفظ نور را بخواند توسّل کند بآل کسا، و لفظ  
نور در آیهٔ شریفه پنج جا ذکر شده است و در هر یک به یکی از آل کسا متوجّه باید شد به  
ترتیب الأوّل فی الأوّل و الثانی فی الثانی وهکذا، تا به برکت ایشان مقصود حاصل شود إن  
شاء الله تعالی .

ولنختم الرسالة حامدين لله مصلين على خاتم النبيين وأهل بيته المعصومين وجميع  
الأنبياء والمرسلين وملائكة الأرض والسماء أجمعين .

ولما كانت هذه الرسالة مشتملة على المصابيح سميتها بمصباح المفسرين .

ثم لما رأيت تاريخ تأليفها (وهو إحدى و ثلاثمائة بعد الألف) مطابقا بـ «قرة عين  
المفسرين» قلبت اسمها به راجيا أن تكون هي مصباحي وقرة عيني في يوم الدين، والحمد  
[تم الحمد لله رب العالمين] .

